وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل:**13/MD12/288**

القضايا النقدية في كتاب

"الأدب وخطاب النقد"

لعبد السلام المسدّي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي **فرع:** الأدب العربي **تخصص:** نقد أدبي حديث

إعداد الطالبة:
بركاهم ضيف

إشراف الأستاذ الدكتور:
لخضر روبحي

تاريخ المناقشة:01- 06- 2015

أمام لجنة المناقشة:

- د/ السعيد حمودي.....رئيسا
- أ. د/ لخضر روبحي .....مشرفا ومقررا
- د/ إسماعيل ونوغي .....عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة :

يدرك الباحث في حقل النقد الأدبي تعدد المشاريع النقديّة العربية واختلافها اختلافا كبيرا، ولا شك أن المشروع النقدي ينطلق أساسا من مقولات، وأسس بلورها النقاد والمفكرون، ليناقش وضعية الثقافة العربية في مختلف تمظهراتها الأدبية والفكرية، قصد إيجاد حلول لإشكالياتها المستعصية، و رسم معالم لآفاقها المستقبلية، خصوصا بعد خوض غمار تجربة المثاقفة مع الآخر (الغرب) ، وانفتاح النقد العربي على منجزات الحداثة الغربية، إلا أن خصوصياتها تختلف من تجربة إلى أخرى، وذلك بحسب طبيعة المرجعيات الفكرية، والخلفيات المعرفية التي يستند إليها كل ناقد في مشروعه، وكذا رؤيته الخاصة في معالجة القضايا المطروحة على الساحة النقديّة.

وفي خضم ذلك التّعدد الذي يميز المشاريع النقدية الغربية، أبى البحث إلّا أن يتوقف عند حدود التجربة النقدية عند واحد من رواد النقد العربي، وهو عبد السلام المسدّي، الذي أبدى اهتماما واضحا بقضايا النقد العربي، حيث أدلى بدلوه محاولا الوقوف عند أهم القضايا التي اعترضت النقد، وطالما أرقت النقاد والمتلقين، محاولا بذلك الكشف عن مرجعيات هذه القضايا، وإيجاد البدائل، والحلول المناسبة لمعالجة إشكاليات النقد والرقي، والنهوض بمستوى النقد العربي.

إن هذا البحث تطرق لأهم القضايا النقدية في واحدة من مدونات عبد السلام المسدي، وهي مدونة "الأدب وخطاب النقد"، وكان الهدف من هذه الدراسة محاولة الوقوف عند الإشكاليات المستعصية التي يعاني منها النقد العربي، ورؤية عبد السلام المسدّي لمختلف القضايا النقدية من خلال مؤلفه " الأدب وخطابالنقد

وكان اختيار موضوع القضايا النقدية في مدونة "الأدب وخطاب النقد " لعبد السلام المسدي لعدة أسباب منها :

– ما تشغله إسهامات عبد السلام المسدّي النقدية من مكانة بارزة على الساحة النقدية، وما يشغله حضوره في فاعليات الثقافة العربية من ملتقيات ومؤتمرات.

– معالجة عبد السلام المسدي لأكثر المسائل النقدية من زاوية لسانية، فهو اقتحم ميدان النقد سالكا معبر الحقول اللسانية.

– رؤية عبد السلام المسدي المتفردة اتجاه قضايا النقد العربي وبدائله المتميزة من أجل النهوض بمستوى النقد العربي، والرقي به لمواكبة النقد الغربي، في ظل التلاحق الملحاح بين التأصيل والتلقي عن الآخر.

وعلى حد علمي لم يحظ كتاب " الأدب وخطاب النقد " بدراسة توضح القضايا النقدية، ورؤية عبد السلام المسدّي لهذه القضايا، وإن حاول البعض البحث في هذا كتاب فنجد دراسة بعنوان "مصطلح النقد في كتاب الأدب وخطاب النقد لعبد السلام المسدّي " وهي رسالة ماجستير للطالب إدريس بن فرحات، أحصى فيها الباحث مصطلح النقد، ومشتقاته، وضمائمه في كل مساحة الكتاب. أما موضوع القضايا النقدية فتوجد عدة دراسات بهذا العنوان، ولو كانت القضايا المناقشة تختلف عن القضايا المعالجة في كتاب "الأدب وخطاب النقد" مثل موضوع "القضايا النقدية عند عزالدين اسماعيل " وهي رسالة ماجستير للطالب وليد بن عبد الله الدوسري.

ويؤطر كل هذه القضايا جملة من الإشكاليات التي ينطلق منها البحث وهي :

– ماهي أهم القضايا النقدية التي تطرق لها عبد السلام المسدّي في كتاب الأدب وخطاب النقد ؟

– كيف كانت رؤية عبد السلام المسدّي لإشكاليات النقد العربي الراهنة ؟ ماهي مرجعيات هذه الإشكاليات حسب عبد السلام المسدّي ؟

– ماهي أهم البدائل التي اقترحها عبد السلام المسدّي للحد من تفاقم هذه الإشكاليات ؟

– ماهي الاستراتيجيات التي تصورها عبد السلام المسدّي أنها كفيلة بالنهوض بمستوى الخطاب النقدي، والرقي بالنقد العربي الراهن ؟

هي أسئلة يسعى البحث إلى الإجابة عنها، باعتماده خطة ضمت ثلاثة فصول ثم خاتمة تضمنت نتائج الدراسة، خص الفصل الأول: بعبد السلام المسدّي ومدونة الأدب وخطاب النقد، تضمن مبحثه الأول التعريف بعبد السلام المسدّي وأهم اسهاماته النقدية، وتناول المبحث الثاني مدونة الأدب وخطاب النقد، بنية عنوان المدونة، وملخص المدونة، أما المبحث الثالث فتطرق إلى المرجعية النقدية في كتاب الأدب وخطاب النقد منها المرجعية اللسانية و المرجعية الحداثية.

أما الفصل الثاني فاختص بتناول إشكاليات النقد العربي، وتفرع إلى ثلاثة مباحث احتوى أولها على إشكالية الحداثة، وتم فيه دراسة مفهوم الحداثة، ثنائية الحداثة والتراث، الفرق بين حداثة النقد وحداثة الإبداع.

أما المبحث الثاني فقد تناول إشكالية المصطلح النقدي وتم فيه دراسة مفهوم المصطلح ومرجعياته، وأهم الحلول التي اقترحها عبد السلام المسدّي للحد من إشكالية المصطلح، أما المبحث الأخير فتطرق إلى إشكالية الغموض النقدي، وهذا الأخير تناول مفهوم الغموض، الخطاب المضاد وخصائصه، بدائل إشكالية الغموض النقدي.

أما الفصل الثالث والأخير فقد تناول استراتيجيات الخطاب النقدي حسب عبد السلام المسدّي ويحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي على التوالي: التضافر المعرفي، حركية التضافر النقدي اللساني، والخطاب النقدي وحيثيات إنتاجه، وانتهى البحث بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج التي خلص إليها البحث.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي ، باعتباره المنهج الأنسب، كونه يهتم بوصف الظاهرة، وتتبع البعد المعرفي للقضايا النقدية في مدونة البحث، وتحليل و تفسير هذه الظواهر حسب رؤية عبد السلام المسدي لها.

يستعين البحث في محاولة الإجابة عن الإشكاليات المطروحة بجملة من المصادر والمراجع، وتتمثل أولا في مدونة البحث "الأدب وخطاب النقد" لعبد السلام المسدّي، و مصادر ومراجع أخرى منها "النقد والحداثة"، و في آليات النقد الأدبي لعبد السلام المسدّي، يوسف وغليسي "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد"، عبد الغني بارة " إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي " ، المرايا المقعرة" و"المرايا المحدبة "لعبد العزيز حمودة، إضافة إلى مصادر ومراجع أخرى.

واعترضت الدراسة جملة من الصعوبات أبرزها :

– التداخل الغير واضح بين فصول المدونة مما صعب فهم مقاصد الناقد.

– صعوبة حصر أفكار، وأبعاد المدونة النقدية إذ تعد تجربة المدونة غزيرة الأفكار، كثيرة الدلالات و المضامين. إضافة إلى المصطلحات اللسانية الصعبة التي استخدمها عبد السلام المسدّي في المدونة.

وفي هذا المقام لا يسعني سوى أن أشكر المولى عز وجل على توفيقه لي في إنجاز هذا البحث كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف " روبحي لخضر" على رحابة صدره، وسعة صبره، ورعايته لهذه الدراسة.

الفصل الأول

عبد السلام المسدّي ومدونة " الأدب وخطاب النقد "

أولا : عبد السلام المسدّي وإسهامات النقدية

1- تقديم الناقد:

2- مؤلفات عبد السلام المسدّي.

ثانيا: مدونة الأدب وخطاب النقد

1- بنية عنوان المدونة

2- ملخص المدون

ثالثا: المرجعية النقدية في مدونة "الأدب وخطاب النقد".

1 – المرجعية اللسانية.

2- المرجعية الحداثية.

أولا: عبد السلام المسدّي وإسهاماته النقدية.

1- تقديم الناقد:

يعد عبد السلام المسدّي من أهم رواد النقد العربي الحديث، الذين ترسخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي في تونس و العالم العربي، وعلى مدار مسيرته الطويلة قدم عطاء وافرا أسهم في ثراء الحركة النقدية العربية بالإضافة إلى هذا له إسهامات في العمل السياسي، والدبلوماسي، والأكاديمي.

تميز المسدّي بدراسة الثقافة العربية الكلاسيكية بمناهج نقدية أكثر حداثة، تجريبا وتأصيلا بسبب انفتاحه على الأدب الغربي، ومناهجه، واطلاعه العميق على التراث العربي القديم . كما ساهم في تجسير المسافة بين النقد العربي والدراسات اللسانية المعاصرة، حيث عمل في تقصي المناهج النقدية ذات الرؤية الشمولية وتطويعها لتكون مبسطة بين أيدي الدارسين والقراء، مستفيدا من السياقات التراثية .

عبد السلام المسدّي من مواليد مدينة صفاقس في الجمهورية التونسية، ولد سنة ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين للميلاد[1]، زاول دراسته الابتدائية في المدرسة القرآنية، ثم انتقل إلى المدرسة الفرنسية العربية، ثم انتقل إلى مدرسة الزيتونة ليتابع تعليمه الثانوي، ثم انتقل إلى معهد ترشيح المعلمين .

كانت بدايته التعليمية في التعليم الابتدائي، وفيه حصل على شهادة الكفاءة البيداغوجية متخرج من كلية الآداب، ودار المعلمين العليا في الجامعة التونسية سنة ألف وتسعمائة و تسع وستين. حيث حصل على شهادة الإجازة في النقد و الأدب العربي، وبعد ذلك درس في التعليم الثانوي، وأعد في كلية الآداب شهادة البحث في الدراسات العليا، ثم حصل على مناظرة "التبريز" في الآداب العربية عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين، درس اللسانيات في الجامعة التونسية منذ سنة ألف و تسعمائة و اثنين و سبعين، اهتم بالدراسات الأسلوبية والنقدية على المناهج المستحدثة، حصل على دكتوراه الدولة سنة ألف وتسعمائة وتسع وسبعين . شغل عدة مناصب هامة حيث كان:

*عضو المجمع العلمي العراقي منذ 1989.

*عضو المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون منذ 1997.

* عضو مجمع اللغة العربية في الجماهيرية الليبية منذ 1999.

*عضو مجمع اللغة العربية في دمشق منذ سنة 2002.

[1] www.althnainya .com./files/files. 156 .PDF- تصفح بتاريخ 01- 03 - 2015 .

اضطلع بمهام سياسية و دبلوماسية سامية فكان وزيرا للتعليم العالي و البحث العلمي، ثم سفيرا لدى جامعة الدول العربية، فسفيرا لدى المملكة العربية السعودية.[1]

2 ـ مؤلفات عبد السلام المسدّي :

لعبد السلام المسدّي مؤلفات كثيرة و متنوعة، منها في اللسانيات، ومنها في النقد الأدبي، ومنها في السياسة، ومنها في الإبداع .

مؤلفاته في اللسانيات :

*التفكير اللساني في الحضارة العربية مطبوع سنة 1981 م .

*قاموس اللسانيات مطبوع سنة 1984 م .

*اللسانيات و أسسها المعرفية مطبوع 1986 م

*مراجع اللسانيات مطبوع 1989 م .

*قضايا في العلم اللغوي مطبوع سنة 1994 م.

*ما وراء اللغة مطبوع سنة 1994 م .

*مباحث تأسيسية في اللسانيات مطبوع سنة 1997 م.

*العربية و الأعراب مطبوع سنة 2003 م .

*الشرط في القرآن (مشترك) مطبوع سنة 1985 م

مؤلفاته في النقد الأدبي :

*الأسلوبية و الأسلوب مطبوعة سنة 1977 م.

*قراءات مع الشابي و المتنبي و الجاحظ و ابن خلدون مطبوع سنة 1981 م .

*النقد و الحداثة مطبوع سنة 1983 م.

*مراجع النقد الحديث مطبوع سنة 1989 م .

[1] عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ،ط1 ،2004 ، غلاف الكتاب.

*قضية البنيوية مطبوع سنة 1991 م.

*مساءلات في الأدب واللغة مطبوع سنة 1994 م.

*المصطلح النقدي مطبوع سنة 1994 م .

*في آليات النقد الأدبي مطبوع سنة 1994 م .

*أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الجديد مطبوع سنة 1996 م .

*بين النص و صاحبه مطبوعا 2002 م.

*النظرية اللسانية و الشعرية في التراث العربي (مشترك) مطبوع سنة 1988 م [1] .

*الأدب و خطاب النقد مطبوع سنة 2004 م .

مؤلفاته في السياسة :

*العولمة و العولمة المضادة مطبوع سنة 1999 م .

* اتقوا التاريخ أيها العرب مطبوع سنة 1999 م.

*العرب و السياسة مطبوع سنة 2001 م.

*التضخم أسبابه و مظاهره (ترجمة) مطبوعة سنة 1979 م.

في الإبداع:

*فتنة الكلمات مطبوعة سنة 1998 م.

*الأدب العجيب مطبوع سنة 2000 م .

* رواية تنتظر من يكتبها مطبوع سنة2002 م.

[1] عبد السلام المسدّي: الأدب و خطاب النقد ،غلاف الكتاب.

ثانيا : مدونة الأدب وخطاب النقد :

1 –بنية عنوان المدونة :

عنوان الكتاب" الأدب و خطاب النقد ": الصادر عن دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، في طبعته الأولى سنة ألفين وأربعة ، عدد الصفحات ثلاث مئة و سبع و خمسين صفحة ، يتكون العنوان من مفهومين اصطلاحيين هما "الأدب "و" الخطاب " .

أ –مصطلح الأدب :

إن كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتغير الزمن، وتغير الحياة العربية، وهذا ما قاله شوقي ضيف في تعريفه لكلمة أدب << كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة و الحضارة، وقد اختلفت عليها معان متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء و السامعين سواء كان شعرًا أم نثرًا >>[1] .

والملاحظ لمشتقات الكلمة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي أنها كانت تدل على المعنى الحسي نحو: الآدب الداعي إلى الطعام ، ومن ذلك أيضا المأدُبة أي الطعام الذي يدعى إليه الناس ، فلعل أصلها إذن فيما يقال من معنى الأدب الدعوة إلى الطعام[2] .

و انتقل معنى كلمة أدب من المعنى الحسي إلى معنى آخر يدل على ما يرافق الكرم و الطعام و الضيافة و العلاقات الاجتماعية من تهذيب، يتمتع به الأديب المكرم للناس ، كألا يكون منانًا في كرمه ، وأن يكون بشوشًا في استقبال ضيفه ، وأن لا ينتقر الضيف انتقارًا ، أي لا ينتخب و لا ينتقي بل يكرم الناس جميعا دون تمييز . فأصل الأدب هنا << من الأدب بمعنى ترويض النفس على محاسن الأخلاق و العادات بالتعليم و التهذيب >>[3].

و يستمر الأمر كما هو في عهد النبي " صلى الله عليه وسلم " ، ولكن الكلمة تأخذ بعدًا آخر و هو بعدًا أخلاقيًا ، و تدور حوله و صارت كل كلمة فضيلة تسمي أدبًا ففي قوله صلى الله عليه و سلم <<أدبني ربي فأحسن تأديبي >>[4].

---

[1] شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ط24 ، 2003 ، ص7

[2] ينظر : محمد خضر : النقد الأدبي عند العرب ، الخطوات الأولى ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، مصر ، ط2 ، 2007 ، ص 13 .

[3] المرجع نفسه ، ص 14 .

[4] ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث و الأثر ، تح : طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، ج1 ، نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ، دط ، دت ، ص4 .

و المقصد من أدبني في هذا الموضع يعني علمني و هذبني، وهكذا استمرت هذه الكلمة طوال فترة العهد الإسلامي الأول، والعهد الأموي على المعنى والدلالة نفسها، فظهرت جماعة المؤدبين، وكانت مهمتها تعليم أبناء الخلفاء، ومن ثمة أصبح الأدب يعني الأخلاق الحميدة و السلوك الحسن و يعني في الوقت نفسه تَعَلُم الشعر الذي هو ديوان العرب و عنوان الأدب ، حيث يتضمن مكارم الأخلاق و يحض عليها << و لعل معنى الأدب قد استقر على ذلك فأصبح الأدب يعني الأخلاق الحميدة و السلوك الحسن ، و أصبحت دراسة الأدب تعني دراسة الشعر و النثر و استخدامها الخاص للغة >>[1] .

في نفس السياق يعرف ابن خلدون الأدب فيقول : << هذا العلم لا موضوع له ، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجادة في فنّي المنظوم و المنثور على أساليب العرب و مناحيهم >>[2] .

و هكذا ترسخت و تأصلت كلمة أدب في الحياة العربية ، ثم ظهر إلى جانبها كلمة المؤدب التي كانت تطلق على من يعلم أبناء الخلفاء و الأمراء وما تطمح إليه نفوس آبائهم في معرفة الثقافة العربية . و في موضع آخر و بحكم انتشار العلم و بُروز دور المُؤدِب تبقى كلمة أدب بمعنى الجمع لمجموعة من المعارف و الفنون و العلوم التي لها صلة بالغة العربية و ثقافتها و يكاد دوره لا يتعدى حفظ أو نقل المعارف << الأدب هو حفظ أشعار العرب و أخبارها و الأخذ من كل علم بطرف ، يَرِيدُونَ من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط ، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب>>[3].

و بمجيئ العصر العباسي و حراك سوق الثقافة العربية والإسلامية بدأت كلمة "أدب " تظهر في خضم الازدهار الثقافي و في تعابير الكتاب و مؤلفاتهم ، فمنهم من استعملها للدلالة على معرفة أشعار العرب و أخبارهم و لغتهم ، ومنهم من اتسع بها لتشمل كل المعارف التي ترقى بالإنسان، لتصبح كلمة مرادفة لكلمة الثقافة ، ثم أخذت كلمة أدب تستقل تدريجيًا في دلالتها عن معنى التهذيب لتصبح علما خالصا جامعا على فنون القول الجيد الراقي التي كانت معروفة عند العرب في الجاهلية (كالشعر و الخطابة و القصص و الأمثال و الحكمة و الوصايا و الرسائل). وما أضافه لها العرب في العصر العباسي من فنون جديدة نحو (التوقيعات ، الخاطرة ، و المناظرة ،و أدب الرحلات ، و المقامات، و السيرة ...)، ولقد استمر هذا المصطلح في مسيرته حتى القرن التاسع عشر ليدل على ما ينتجه العقل و الشعور من خلال اللغة ، ثم استقل في نهاية الأمر على معنى الأدب الخالص ، بعد أن استقلت العلوم

[1] محمد خضر : النقد الأدبي عند العرب ، ص(15 - 16)
[2] عبد الرحمان بن خلدون : مقدمة بن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، ط4 ، 1984 ، ص 553 .
[3] المصدر نفسه ، ص ن .

بدلالتها و عناوينها ليكون مصطلحا خاصا بفني الشعر و النثر ، وقد أضاف لها العرب في القرن العشرين الفنون (فن الرواية ، فن المقال ، فن المسرحية ، الحديث الإذاعي ، و الندوة ، الحوار ، المرافعات ، وغيرها من الفنون ...) . و ذلك بحكم انتشار الطباعة و الصحافة و الإذاعة، إلى هذا ينصرف الذهن في الدراسات الحديثة [1].

و بهذا أصبح الأدب فنا مفيدا و ممتعا و بدأ تدريجيًا يحل مفهوم الأدب مفهوم الآداب الجميلة << لكن الفرق بينهما أن الأول يملك بعدا اجتماعيًا و ليس جماليًا فحسب و بالتالي أصبح الأدب محصولًا لروح العصر، وبهذا فقد استطاع الأدب كفن أن يكون له محتوى مشابه لمحتوى الآداب الجميلة>> [2] .

بهذه التعريفات المختلفة لمفهوم الأدب نقول أن الأدب ظهر كمفهوم تطوري يتغير محتواه و معناه حسب الأوضاع التاريخية، ففي البداية كان بمعنى الدعوة إلى الطعام ثم انتقل إلى مفهوم أخلاقي في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، وفي العصر العباسي أصبح بمعنى تعليمي أي المُؤدِب هو المعلم ، ثم أصبح بمفهوم جمع المعارف من شعر و نثر ثم تعددت المعارف و أصبح بمعنى شامل للمعرفة و تطور و أصبح الأدب فن من الفنون ، فن مفيد وممتع .

ب –مصطلح خطاب :

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات التي ولجت الدراسات النقدية الحديثة و أصبحت أكثر تداولًا لدى النقاد المعاصرين العرب، نتيجة احتكاكهم بالتيارات النقدية الغربية ، وهذا لرغبتهم في التحديث، وتجاوز المفاهيم التقليدية، وإرساء مفاهيم نقدية جديدة على ضوء ما وصلت إليه الدراسات النقدية الغربية ، و محاولة منهم لتجاوز إشكالية النص و الخطاب و سعيا إلى آفاق معرفية، وعلمية جديدة، ومواكبة للدراسات النقدية المعاصرة .

يطلق الخطاب في اللغة العربية على مراجعة الكلام و يكتفي المعجم الوسيط بتفسير الخطاب بالكلام دون تقييد نوع الكلام و في التنزيل العزيز في قوله تعالى "وشَدَدْنا مُلْكَهُ وآتيناه الحِكْمَةَ و فصل الخِطَابِ " هو أن يحكم بالبينة أو اليمين و قيل معناه أن يفصل بين الحق و الباطل ، ويميز بين الحكم و ضده ، وقيل فصل الخطاب الفقه في القضاء [3] .

إن أغلب المرادفات الأجنبية الشائعة لهذا المصطلح مأخوذة من أصل لاتيني وهو الاسم Discourus

[1] ينظر: عباس المناصرة : مدخل عام لمسيرة مصطلح الأدب الإسلامي ، مجلة الأدب الإسلامي ، ع 52 ، 2006 ، ص29 .
[2] مجموعة من الأساتذة : الأدب و الأنواع الأدبية ، تر : طاهر حجار ، دار طلاس لدراسات و الترجمة ، دمشق ، ط1 ، 1985 ، ص 16 .
[3] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 2004 ،مادة خطب ، ص 243 .

" الذي يعني " الجري هنا أ و هناك "أو " الجري ذهابًا و إيابًا" و المشتق بدوره من الفعل "discourrez وبذلك فإن المفهوم الاصطلاحي للخطاب يعني << الميدان العام لجميع المنطوقات ، أو مجموعة متغيرة من المنطوقات ، أو هو ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد من المنطوقات و تشير إليها>>[1] كما أنه عبارة عن << مجموعة من المنطوقات أو الملفوظات التي تُكَوِّنُ بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية المحكومة بقواعد التكوين و التحويل >>[2] .

إذن فاللغة و المنطوق مما يعتمد عليها المصطلح أي الخطاب ، حيث يستلزم وجود أحدهما الآخر رغم عدم التساوي التام في هذه العلاقة ، فالمنطوق ليس شرطا كما يبدو لوجود اللغة ، ما دام يمكن استبداله بغيره ولكن اللغة في جميع الأحوال ، تتكون من منظومة أو من نسق من المنطوقات الممكنة تماما كما يعرفها دوسوسور << باعتبارها نظاما من العلاقات >> [3]

و هذا تعريف آخر لمصطلح الخطاب فهو كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة و قوانينها فهو نص و إذ ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا ، فالخطاب إذن يهتم بمهمة توصيل الرسالة حيث يعتبر الخطاب رسالة تواصلية إبلاغيه متعددة المعاني يصدر عن باث (المُخَاطِبْ)موجه إلى متلق (المُخَاطَبْ) معين عبر سياق محدد وهو يفترض من متلقيه أن يكون سامعا له لحظة إنتاجية و لا يتجاوز سامعه إلى غيره يتميز بالشفوية و يدرس ضمن لسانيات الخطاب [4] .

و يرتبط الخطاب باللغة و بقواعدها و بالتالي << فالخطاب هو تلك الصياغة لفكرة مقصودة في تتابع لغوي وفق ما تقتضيه القواعد اللغوية، للغة معينة ، ومن الضروري هنا ضبط الصحة و السلامة في التأليف اللغوي ، لأن سوء التأليف قد يؤدي إلى الاضطراب في العملية الإبلاغية ليتم بعد ذلك إرسال الخطاب في الهواء إلى المتلقي ، إذ كانت الرسالة منطوقة أو تدون في المدونة الكتابية >>[5] .

من خلال هذه التعاريف نستنتج أن مصطلح خطاب له دروب عديدة و مفاهيم مختلفة ولا متناهية ، حتى بات العثور عليه وتحديده أمرا ليس باليسير فيقوم في اللغة على التلفظ أو القول بين طرفين أحدهما مُخَاطِبْ و ثانيهما مُخَاطَبْ ، و يتحول إلى رسالة أو نص وقد يكون نثرًا أو شعرًا كما عرفه "تود وروف" قائلا :<< إن العمل الشعري ليس ممكننا إلا عبر فصل الخطاب الذي يُعَبِر العمل الفني به عن نفسه عن كلية اللغة إلا أن هذا الفصل لا يتحقق إلا إذ كان للخطاب ذاته حركته الخاصة المستقلة

[1] مشال فوكو: نظام الخطاب و إرادة المعرفة ، تر: أحمد السطاني و عبد السلام بن عبد العالي ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء ،1985 ص51
[2] الزاوي بغورة : مفهوم الخطاب في فلسفة مشال فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،دط، 2000 ، ص 94 .
[3] فرديناند دي سوسور : دروس في الألسنية العامة ، تر : صالح القرمادي و آخرون ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1985 ، ص 41 .
[4] ينظر : محمد عزام ، النص الغائب ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د ط ، 2001 ، ص 49 .
[5] عبد الحليم بن عيسى : الاتصال اللغوي بين الدقة و الغموض ، مقال ، مجلة اللغة و الاتصال ، جامعة وهران ، العدد 1 ، أكتوبر ، 2005 .

و بالتالي زمنه كما هو حال أجسام العالم هكذا ينفصل الخطاب عن كل ماعداه ، و يخضع لانتظام داخلي ، ومن جهة النظر الخارجية يتحرك الخطاب بحرية و بطريقة مستقلة ، وفي داخله يكون منظمًا و خاضعا للانتظام >>[1] .

أما الخطاب في البحث النقدي فهو فعل النطق ، أو فاعلية القول ، و تصوغ في نظام ما يريد المتحدث قوله (الخطاب) إذن كتلة نطقية لها الغوص ، و حرارة النفس و رغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة ، و لا هو تماما النص ، بل هو فعل يريد أن يقول[2] و الخطاب عند محمد مفتاح يتميز بأنه << تواصلي : يهدف إلى توصيل معلومات و معارف و نقل تجارب إلى المتلقي . تفاعلي : على أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء ، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تُقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع و تحافظ عليها >>[3] .

كما يعرف عبد السلام المسدّي الخطاب النقدي بقوله إن << خطاب النقد بوسعه أن يصير كالسلك الناقل لشحناء الكهرباء المعرفية ، و سيكون عندئذ صورة لازدواج الرسالة التي يحملها النص الإبداعي لأن للأدب ـ بمفهوم سوسيولوجية المعرفة كما ارتأيناه . طاقتين : طاقة اختراقية توفر له الانتشار و طاقة استقطابية هي التي تكفل له الجاذبية التي تجعل التغذية الراجعة على قدر العطاء المعهود >> [4].

من خلال هذا التعريف يمكن القول إن الخطاب النقدي يوظف توظيفًا مزدوجًا فهو الرابط بين قارئه و شتّى المعارف الأخرى ، و يُعتبر القناة التواصلية بين قواعد المعمار النقدي بعضها إلى بعض .

و من ثمة يمكن القول إن مصطلح الخطاب يشير إلى الطريقة التي تُشَكِّل بها الجمل نظاما متتابعا تسهم به في نسق كلي متغير و متحد الخواص ، و على نمط يمكن معه أن تتآلف الجمل في نظام بعينه لتُشَكِل نصا مفردا ، أو تتآلف النصوص نفسها في نظام متتابع لتُشَكِل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد .

---

[1] تزفتان تدوروف و آخرون : في أصول الخطاب النقدي الحديث ، تر : أحمد المدني ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1989 ، ص 58 .
[2] ينظر : يمنى العيد ، في القول الشعري ، الشعرية و المرجعية ـ الحداثة و القناع ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، د ط ، 1987 ، ص12 .
[3] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط3 ، 1992 ، ص120 .
[4] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، ص 51 .

2 -ملخص المدونة :

يتضمن كتاب "الأدب و خطاب النقد" اثني عشر فصلا ، تتناول العديد من القضايا النقدية ، إلا أنها ليست قضايا مستحدثة ، و إنما هي مطروحة بشكل كثيف من طرف النقاد و الدارسين في النقد العربي المعاصر ، و عبد السلام المسدّي كغيره من النقاد العرب لم يفوت الفرصة في كتابه هذا بأن يبدي برأيه في معالجة هذه القضايا التي نُلخص فصولها الاثني عشر .

الفصل الأول: النقد و التضافر المنهجي.

يبدأ عبد السلام المسدّي هذا الفصل بعدة تساؤلات و كلها تنطوي تحت سؤال واحد هو " نحن والآخر " فالمسدّي يقول أن هذه الإشكالية لابد أن توضع على أساس العلم و المعرفة دون التخلي عن الهوية، فليس من سمات المعرفة إلغاء الفكر الحضاري ، و التخلي عن الهوية العربية من أجل هوية الآخر . إنما العلم متحررا من كل الانتماءات و الجنسيات ، كما يؤكد على استقبال الأدب و خطاب النقد استقبالا متخلصا من إحراجات الانكسار الفكري الذي ما انفك يوشج صدر الثقافة العربية .

إن النقد الأدبي في العصر الحديث قد تطور تطورًا سريعًا و فيه من التنوع و الغزارة ، و بالتالي لم يعد للسابق أن يفهم قول اللاحق ، وهذا يعني التسليم بوجود لحظة مخصوصة هي لحظة انفجار النظرية النقدية و جعل موضوع النقد مواضيع ففي البداية كان الحديث عن الأدب ثم الحديث عن النص . فالكتابة ، فالتلقي ، فكل هذه المصطلحات دليل على انبرام عقد فكري جديد له حيثياته ، هذا ما جعل المسدّي ينبه إلى ضرورة الانتباه إلى ما أسماه بانفجار النظرية النقدية و ذلك يعني الاقتناع بأن مؤسسة النقد خرجت من مدار فلكها الموروث[1] .

إن موضوع فكري جديد يعني لحظة منهجية جديدة هي لحظة التضافر التي هدفها تبادل الأثر المُوّلِد الفعال ، و التضافر المعرفي ليس شيئا جديدا ، ففي القديم كان التضافر بين الأدب و التاريخ و بين الأدب و الفلسفة . لكن التضافر بالمعنى الجديد نظام منهجي له قواعد خاصة لأنه يربط بين ثقافتين تُوظَف إحداهما خدمة للأخرى ، وأن التحول المعرفي يقتضي أن يكون التضافر قائما في النقد قبل قيامه في الناقد ، و لا بد من الإقرار بأن المعرفة اللسانية هي من أعظم المساهمين اليوم في شركة الأدب و النقد، كما يزعم عبد المسدّي أن التضافر بين اللسانيات والنقد الأدبي مرّ بعدة مراحل حتى وصل إلى لحظة النضج و أصبح جسرا اعتمده الأدباء و النقاد للرقي بالنقد و تحقيق نقلة إبستيمية نوعية .

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي ، الأدب وخطاب النقد ،ص ص(7- 18.)

الفصل الثاني : الناقد الأدبي و الميثاق المعرفي :

في هذا الفصل يناقش عبد السلام المسدّي وظيفة الناقد الأدبي ، و أن لناقد الأدب رسالة في المجتمع، فهي من منطلق فكري و مسؤولية ثقافية ، ففي البدء شاع التلازم بين الناقد و الأديب و شاع التلازم بين الناقد و أقرانه الأدباء ، و لكن غاب عن الوعي تلازم الناقد و المجتمع ، ففي الماضي وظيفة الناقد لم يقم حولها نزاع فكانت من الأشياء المسلم بها و كانت المساجلة بينه و بين الأدباء أو بينه و بين النقاد و لكن لم تكن له مشكلة مع المجتمع .

أما اليوم فتغير الوضع و لم يعد الناقد في تصالح دائم مع المجتمع ، لقد اختلفت هذه الانسيابية واضطرب الوضع بين الناقد و المجتمع و يرجع ذلك حسب المسدّي إلى سببين أحدهما يعود إلى المواقع المعرفية و الآخر يعود إلى المواقع التواصلية فوظيفة الناقد حسب الموقع المعرفي يحددها المسدّي في ستة وظائف هي : ناقد النص و يعني ذلك أنه راسم خريطة المسالك داخل متاهة النص ، مؤرخ الأدب و يعتبر في هذه الحالة موثق بالدرجة الأولى ، عالم اللغة وهو مستثمر للنص الأدبي من خلال اللغة ، عالم الأدب على اعتبار أنه مهتم بتأسيس الجانب النظرى ، الناقد المقارن يعني الباحث في القران الجامع بين الآداب الإنسانية ، مؤرخ للنقد فيكون مدار البحث على تاريخ الجماليات و تاريخ النقد . هذه هي وظائف الناقد حسب الموقع المعرفي.

أما من ناحية السبب الثاني لتوتر العلاقة بين الناقد و المجتمع هو الموقع التواصلي و هذا الموقع يحدد أطراف التخاطب فالوظيفة الأولى للناقد مرتبطة بمخاطبة القارئ و هي وظيفة تثقيفية تكوينية أي أنها الوظيفة التعليمية ، و للناقد وظيفة ثانية و ترتبط بموقع آخر من المواقع التواصلية ، وذلك أن الخطاب النقدي موجه للأديب وهي وظيفة مدققة مخصوصة هي الوظيفة المحللة أولا و التوجيهية ثانيا .أما الوظيفة الثالثة تنبثق عن المستوى الثالث من مستويات الخطاب فالناقد يتوجه بالخطاب إلى نظرائه النقاد وهي وظيفة انعكاسية .[1]

من خلال هذا نتوصل إلى أن وظيفة الناقد كانت فيما مضى منسلكة في إيصال المعرفة المتصلة بالأدب أما اليوم فإن قفزة جوهرية قد قفزت بالنقد قفزا نوعيا فأصبح الناقد طرفا رئيسيا في إنتاج المعرفة، و من هذا كله تتجلى مهمة الناقد في عقد إنتاج المعرفة الذي يوقعه مع كل الذين يحملونه المسؤولية ، و يلقون على عاتقه أمانة الالتزام الثقافي ، فيكون له حق من مواثيق التأسيس المعرفي .

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ،ص ص (29- 41).

الفصل الثالث : الناقد العربي و مرجعيات التواصل .

يبدأ عبد السلام المسدّي هذا الفصل من فكرة التسليم بأن النقد الأدبي قد دخل في العصر الحديث حلبة المخاض المعرفي من أوسع أبوابه ، وأن الحديث عن وظيفة الناقد ضمن الميثاق المعرفي ، وأن الناقد العربي في هذه المرحلة التاريخية يواجه مسؤوليات دقيقة تجعله ملتزما بكل ما يلتزم به الناقد الحديث ومن هذه المسؤوليات الملقاة على عاتقه حسب المسدّي أنه على الناقد العربي أن يفك عقال تلك الثنائية الأسرة التي تحمل على كفها الأولى مدى مفهومية الخطاب النقدي و على كفها الثانية مدى مقبولية الخطاب النقد و من الوظائف المتوجبة على الناقد العربي الوظيفة التواصلية و التي يقصدها المسدّي تتجاوز الإبلاغ و الإفهام إلى محيط القرائن المصاحبة للملفوظ النقدي و هذا يفرض تغيرا جوهريا ، هذه الوظيفة في حقيقتها السيميائية تنطوي تحت سؤالين : فمن المتحدث ؟عمن يتحدث المتحدث ؟

إن الاهتمام باستراتيجية الخطاب النقدي حسب المسدّي جزء من الالتزام بالواقع التاريخي ،

و الارتباط بطبيعة المجتمع ، و جزء من انخراط الناقد العربي في الميثاق التواصلي ، و من بنود الميثاق الثقافي حسب المسدي، واجب الناقد العربي اليوم في الموازنة بين حركة التحديث التي واكبها و حركة التطور التي يسير عليها مجتمعه .

إن اهتمام الناقد العربي بقضية استراتيجية الخطاب النقدي يعني التزامه بالوظيفة التواصلية باعتبارها وظيفة ذاتية لصيقة بمهمته ، هذه الوظيفة التي ينهض بها الناقد العربي حين يجعل من همومه أن تعين الآخرين على تعديل أوتار التاريخ ، تعتبر وجه أول يمثل استراتيجية الخطاب من داخل الدائرة النقدية . أما الوجه الثاني فيخص الوظيفة التواصلية بواسطة النقد و لكن خارج دائرة النقد ذاته ، و هذا يعني أنه على الناقد أن يوظف كل الوسائل المتاحة لديه ليسهم في بناء صرح المعرفة الموضوعية أي أن الناقد العربي في هذه المرحلة مدعو على الواجهات الحضارية .

إن ميثاق التواصل حسب عبد السلام المسدي هو البحث عن المسلك الأوفق لتأمين الوظيفة التواصلية في صياغتها المجتمعية و النفسية بترتيب سلم من الأولويات تراعى فيه إزالة الحواجز المعرفية لضمان مقبولية الفكر النقدي الجديد لدى مرجعيات المجتمع الذي ينخرط حضاريا فيه [1] .

في هذا الفصل يركز المسدي على ثنائية مهمة ، على الناقد العربي أن يعيها و هي مدى مفهومية الخطاب النقدي من جهة و مدى مقبولية الخطاب النقدي من جهة ثانية .

[1] ينظر :عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ،ص ص (43 – 58) .

الفصل الرابع: التواصل النقدي والأنموذج اللساني.

ينطلق عبد السلام المسدي في هذا الفصل من زعمه أنه على خطاب النقد العربي أن ينهض بمهمتين تجعلانه في آن واحد خطاب ثقافة و خطاب تثقيف ، إن الوظيفة التواصلية التي تربط الناقد بزمنه ضمن الميثاق المعرفي الذي يربط الناقد بمجتمعه تكون على شكل مثلث تواصلي يقوم على أسئلة ثلاث : ماذا يقول المتحدث ؟ من المتحدث ؟ إلى من يتحدث المتحدث ؟

التواصل في العلم هو جزء من الميثاق المعرفي و يتخذ عبد السلام المسدي البحث اللغوي كأنموذج صالح يدار على وجهتين ، الوجه الأولى أنه شاهدا على التواصل المعرفي من داخل دائرة العلم ذاته ، و الوجهة الثانية شاهدا على التواصل الثقافي في علاقته الحميمة بالنقد الأدبي حينما تم تطويع الخطاب النقدي لحمل المضمون الفكري الجديد .

و يوضح عبد السلام المسدي في هذا الفصل تجربته هو ومجموعة من النقاد الذين ظلوا لعقود طويلة جزاء من منظومة ثقافية مرجعها البحث اللغوي الحديث ، ومستندها الانتماء إلى المؤسسة الأكاديمية ، و الالتزام بمقومات الهوية الحضارية التي لا انفكاك للمعرفة عن ميثاقها ، هذه التجربة هي بمثابة الشهادة على آليات الإنجاز المعرفي دونما إغراق في السيرة ، ولا تنصل من تبعات الالتزام .

يعطي عبد السلام المسدي أمثلة تثبت ما دعت إليه استراتيجية إيصال اللسانيات إلى أعماق الوعي العربي و يستدل المسدي بمثالين أولهما يخص الموقف من التراث العربي ، أما المثال الثاني اتخذه شاهدا على استراتيجية الخطاب اللساني من داخل دائرة المضامين فيمثل في القطع مع التقاليد .

فبهذا يطلعنا المسدي على أن استراتيجية الخطاب النقدي من خارج دائرة الأدب و علم الأدب تؤدي حتما إلى إلزامية التلاقح بين المعارف بما يفتح بينها من قنوات التطاعم مما يثبت أن الأنموذج اللساني قد بلغ مع الخطاب النقدي مستوى يكاد يكون متعادلا في الأخذ و العطاء فعبد السلام المسدي يرى أنه من خلال علم الأسلوب تسلك اللسانيات إلى النقد الأدبي ،ومن خلال المنهج البنيوي أطل على مقولات علم اللسان فاستعارها حتى كاد يمتلكها [1] .

و من ثمة فإن وصول الأنموذج اللساني إلى الشريحة العريضة من المثقفين في الوطن العربي كان بفضل النقد الأدبي ، وتأكيد الخطاب النقدي صلاحية للأداء مهمة التواصل الثقافي ضمن استراتيجية الدائرة المعرفية كان من خلال الأنموذج اللساني .

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص ص (59 -72) .

الفصل الخامس : اللسانيات وفلسفة النقد .

لقد حاز موضوع العلاقة بين اللسانيات و النقد الأدبي مساحة كبيرة من الكتاب واعتبر عبد السلام المسدي أن هناك أضربا من الروابط التي تربط النقد الأدبي باللسانيات ، وهي تتعدد بتعدد وجهات النظر من لدن عالم اللغة أو الناقد .

و في هذا الصدد يعتقد المسدي أن أهم زاوية ينظر من خلالها عالم اللغة إلى طبيعة العلاقة بين مجال اللسانيات ، وهو مجال عمله و مجال النقد الأديب هي على الإطلاق مستويات الكلام من المفاهيم اللسانية ، أما أهم زاوية ينظر من خلالها الناقد إلى طبيعة العلاقة بين اللسانيات و الأدب إنما تتعلق بأدوات التحليل النقدي مما هو متعلق بالآليات التي يتوسل بها الناقد عند تحليله النص . وتبقى اللسانيات هي الجدل القائم بين النقاد و اللغويين. فالعلاقة بين اللسانيات و النقد الأدبي هي موضع الخلاف و الحيرة ، و القلق الذي ينتاب اللغويين و يأخذ من حيرة النقاد العرب و يرى المسدّي أن العلاقة بين المعرفة اللغوية و المعرفة النقدية هي معالجة القضية ضمن المشروع المعرفي للسانيات لا ضمن المشروع المعرفي للنقد الأدبي كما دأب عليه العمل لحد الآن الراهن، وهذا يعني أن العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي يتم إنجازها داخل المعرفة اللغوية لا من داخل المعرفة النقدية .

ومن ثمة يسهب المسدّي في مسوغات تنامي الطموح المعرفي لعلم اللسان الحديث بيد أنه يعود ليثني على النقد أنه قد أحسن صنعا عندما استجاب تاريخيا لحركة التطور المعرفي و أثبت كفاءة عالية ، و النقد الأدبي فيما تصوره المسدّي هو نتيجة حفر الباطن في الثقافة و المعرفة وهو قادر على أن يتحدي اللسانيات في نفس الوقت .

إن النقد الأدبي كما يتصوره المسدّي هو الحفر في الباطن أي في بواطن الثقافة و المعرفة و بالتالي يكون قادرا أن يتحدى اللسانيات ، وهذا المشروع يبقى مرهون بإعادة تشكيل منطلقات تضافر الحقول المعرفية ، و يكون الاستثمار المعرفي بإلغاء النزوع التفاضلي الحاد و التخلي عن الرؤية التقويمية الآسرة و التنازل عن المرمى الاستثماري العاجل . [1]

يرى المسدّي أن النقد الأدبي قد أنجز نقلة نوعية تمثلت في تحرر الفكر النقدي من سطوة المتكلم و يعني به المسدّي على وجه التدقيق هو انعتاق النقد من مرجعية المتكلم بالأدب إلى مرجعية الكلام الأدبي نفسه ، و هو الإعلان عن تحول وجهة النظر من الناطق بالنص إلى النص ذاته .

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ،ص (73- 91) .

الفصل السادس : الأنساق والمناول.

يستعرض عبد السلام المسدّي في هذا الفصل التركيبات المثاني الست التي تمنحنا فرصة الإنضاج المعرفي من داخل بنية الأنساق مما يستجيب لهاجس النمذجة المحاكية للتشكيل الصوري وفق سلسلة المعادلات التالية :

1- الأدب × اللغة = فقه اللغة

2- الأدب × اللسانيات = الأسلوبية

3- اللغة × اللسانيات = الكليات

4- الأدب × النقد = الأدبية

5- النقد × اللسانيات = الخطاب

6-اللغة × النقد = الدلالة

إن ممارسة قضية النقد في تضافره مع اللسانيات آلية معرفية تقوم على أنموذج الزمن بوصفه منوالا تفسيريا ذا بعد إبستيمي يكسب صلاحه من فاعليته داخل ورشته المفاهيم المتصلة بالعملية الأدبية و بالعملية النقدية .

و إنه ضمن المناول التفسيرية ثلاثة نماذج ، يقوم الأول منها على مفهوم الزمن الطبيعي أو الزمن الفيزيائي ، و يقوم الثاني منها على مفهوم الزمن المنهجي ، و يقوم الثالث منها على مفهوم الزمن النقدي الذي يستبين بناء على ما يدل به الزمن اللغوي من بيان .

و في الأخير يتوصل المسدّي إلى تشخيص الأنموذج التضافري الجديد بين إبيستيمية النقد و منظومة الأنساق حسب دينامية ثلاثية : الإطار المرجعي ، فالإخصاب المعرفي ، فالإنجاب الإبيستيمي أما الإطار المرجعي فقائم على مداخله الثلاثة : اللغة التي هي موضوع المؤسسة الإبلاغية و موضوع المؤسسة الإبداعية في ذات الوقت ، و اللسانيات التي هي معرفة اللغة بوصفها مؤسسة إبداعية، و النقد الذي هو معرفة اللغة بوصفها مؤسسة إبداعية . [1]

أما الإخصاب المعرفي فيتم بالاحتكام إلى جدول المقولات المتضافرة و إلى صور الأنساق : فمن جانب التضافر يتوافد فقه اللغة و الأسلوبية كما تنبثق الكليات و الأدبية ، و الخطاب ، و الدلالة. ومن جانب صور الأنساق على النماذج المتداولة لمفهوم الزمن وهي :أنموذج الزمن الطبيعي ، و أنموذج الزمن المنهجي ، و أنموذج الزمن اللغوي . حتى نصل إلى لحظة الإنجاب الإبيستيمي .

[1] ينظر : عبدالسلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص ص (93 – 110) .

الفصل السابع : اللغة و الأدب في اللسانيات الذهنية :

يبدأ عبد السلام المسدّي هذا الفصل بأنه لا يمكن كتابة تاريخ العلاقة القائمة بين الأدب و اللغة مهما كانت الوجهة ، و أيا كان السياق الحضاري بين سائر الثقافات الإنسانية ، و لكن الشأن يختلف إن تعلق الأمر بالتأريخ للعلاقة القائمة بين علم الأدب و علم اللغة ، فلكل حضارة و داخل كل ثقافة مسلك مرسوم تقتفي بين ضفتيه آثار الاقتران الحاصل بين العلم اللغوي و العلم الأدبي .

إن الرابطة الجامعة بين اللسانيات كمعرفة علمية للظاهرة اللغوية و النقد الأدبي كمعرفة تنشد أقصى حظوظ الموضوعية في مجال الظاهرة الإبداعية داخل مؤسسة اللغة علاقة بين ضربين من ضروب النشاط الفكري ، و بالتالي فهي تضافر بين معرفتين كل واحدة منها متميزة بخصائصها النوعية في الموضوع و في المنهج و في الغاية المرتجاة .

كما يشير عبد السلام المسدّي إلى تلابس و تداخل المفاهيم الذي جر الناس من المختصين و من غير المختصين ، و مزجهم بين المتماثلات .فتراهم يتحدثون عن علاقة اللغة بالأدب ، و علاقة اللسانيات بالنقد ، و كأنه شيء واحد ، و بأن الحديث عن الأدب هو عين الحديث عن النقد ، و بأن الحديث عن اللغة هو عين الحديث عن علم اللغة .

و يقف المسدّي في هذا الفصل عند رائد من أعلام اللسانيات يمثل بمفرده منعرجا حاسما في تاريخ العلاقة الوشيجة بين العلم اللغوي و العلم النقدي ، ألا و هو" رومان جاكبسون" ، وهذا دائما في سياق الحديث عن الرابطة التضافرية بين اللسانيات و نقد الأدب حيث يرجع له الفضل في تحقيق القفزة المعرفية التي أنجزتها تضافرية البحث بين حقل اللغويات و حقل الأدبيات ، ويعتقد أنه قد أسس الرابطة التكاملية بين العلمين على قواعدها الإيبستيمية الدائمة .

غير أن عبد السلام المسدّي لم يطل الوقوف عند جاكبسون و إنما قصد من خلاله أنموذجا آخر يريد مساءلته ذلك الذي ينسب إليه التيار الذهني ، ألا و هو أنموذج "أدوار سابير" الذي قبض على اللغة بيد و الأدب بيد دونما قبضه على علم اللغة وعلى علم الأدب .[1]

يفيدونا المسدّي أن أنموذج "أدوار سابير" ينبئنا عن وشائج الصلات المتعينة بين كل نظرية أدبية و مقومها اللغوي ، كما ينبئنا في نفس الوقت عن وشائج الصلات المتعينة بين كل نظرية لسانية و مقومها الإبداعي الذي تستلهمه من ارتقاء الكلام إلى فن القول .

[1] ينظر:عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص (111 - 137) .

الفصل الثامن : الالتباس المعرفي و تبرئة المصطلح :

يتطرق عبد السلام المسدّي في هذا الفصل إلى أهم الإشكاليات التي تواجه النقد العربي، و يتعلق الأمر بقضية الخطاب النقدي في مدى جلائه أو مدى غموضه فيشير إلى تضاعف الإشكال حين تُلقى مسؤولية الغموض و تعقد الخطاب النقدي على كاهل المصطلح .

يرى المسدّي أن أول فريضة توجب نفسها على المهمومين بالأدب و المهمومين بخطاب النقد هي العمل على أن يتوفر " الوعي المصطلحي " ويتأتى ذلك بمحددات حاول استصدارها في شكل سلسلة من الأسئلة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: من المؤهل في ذاته بالحديث عن المصطلح ؟ ومن الأولى في نظر العلم الخالص بمعالجة قضاياه التأسيسية ؟ و من المخول بذلك و المتمتع بالصلاحيات الفكرية في رأي الماسكين بسلطة القرار الثقافي أو الناطقين باسم مرجعياته في المجتمع .

أما الحل الثاني لإشكالية المصطلح حسب المسدّي هو ضرورة الاعتراف بحرمة المصطلح بمعنى ضرورة الاعتراف بعلم المصطلح علما قائما بذاته هذا ما يؤول مباشرة إلى التسليم بكامل صلاحياته المعرفية ، و هذا يعني أن الاعتراف غير كاف إذا ما لم يدرك الباحث الحدود الضيقة التي تتقاطع عندها علوم لغوية عدة مثل علم التراكيب ، و علم الأصوات و علم الدلالة و المعجمية ... لأن هذه المعرفة الواسعة توفر للباحث كفاءة و تعززه بالسند الايبستيمي المؤسس . و المطية الثانية هي التزام بدقائق المصطلح ، و كذا بحدوده عند استعماله في السياق العلمي ، و كذلك في التداول اللغوي العام ، وهذا ما يؤسس مبدأ الانضباط في استعمال اللغة مما يقربها من الإقرار بدستور المصطلح في كل علم .

لقد توصل عبد السلام المسدّي في معالجته لإشكالية المصطلح في الواقع العربي أنها متجسمة في غياب الصرامة مع الذات عند تداول المصطلح ، وانسداد غرابيل الاستصفاء النقدي ، ولذلك فإن حرمة المصطلح تضمن له فاعليته النقدية عندما يكون كل من يتعاط النقد من استعمال المصطلحات على عواهنها، كما أن معين الالتباس ينسد وتجف عيونه في باطن البنية الثقافية كلما أخذ النقاد على أنفسهم ألا يستلهموا استيراد المفهوم ، و ألا يستهينوا بتداوله إلا بعد إدراك أسراره في الحقل الذي زرع فيه . [1]

إذن فلا مخرج من مشابك المعضلة الاصطلاحية إلا بتأسيس ثقافة معرفية عميقة بعلم المصطلح عند الناقد و المتلقي ،و ضرورة حرمة علم المصطلح كعلم قائم بذاته له أسسه و قواعده ، فمما لا شك فيه أن مفاتيح المناهج النقدية هي مصطلحاتها ، و حتى ينتهي ما انبرى إليه البعض معترضا راميا الخطاب النقدي بالإلغاز و التعمية ، مشهرا بما ظنه إغلاق في المصطلح .

[1] ينظر: عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ،ص ص (141 -173) .

الفصل التاسع : في أدبيات الغموض النقدي :

ينطلق عبد السلام المسدّي في هذا الفصل بسؤال إذا ما كان الخطاب النقدي غامضا أم أنه لم يكن يحمل هذا القصور التواصلي في ذاته و بذاته أو أنه ينطلق من النشاز القائم بين الخطاب النقدي و المتلقي بسبب أغراض ثقافية ، وإلى ماذا يرجع احتشاد نقاد في إرسال تهمة الغموض . كل هذه التساؤلات و أخرى جعلت المسدّي يبحث في مرجعيات هذه المسألة .

إن الاختلاف حول وجاهة الجديد حسب المسدّي ليس جديدا بين النقاد العرب فقد كان هناك تباين في رؤاهم حول أمر التحديث المنهجي، و لكنهم كانوا يقاومونها، و يعترضون عليها ولا يقول أحد منهم إنها قد أشكلت عليه أو تلبست على فهمه أو أغلقت حيال مداركة أبوابها .

رغم هذا التباين حول المناهج إلا أنه لم تكن هناك شكوى من غموض النقد من حيث هو خطاب مُؤَلف يتساءل المسدّي عن سر تظلم الناس من قراء و أدباء من غموض النقد الأدبي الحديث مع مطلع الربع الأخير من القرن العشرين على وجه الخصوص .

هذه المسألة أرقت المسدّي و جعلته يتخذ من ظاهرة الغموض في النقد العربي قضية تتحول من دائرة النقد الأدبي إلى دائرة التعامل مع الخطاب النقدي ذاته . و النبش عن أسس تركيبة هذا الخطاب المتظلم فبين التظلم من النقد الحديث و التظلم من غموض الخطاب النقدي الحديث مسافة جغرافية صغرى . يثوى وراءها فضاء ذهني فسيح يتيه في أجوائه الفكر حتى الذي ليس من دأبه التشرد .

إن أدبيات الشكوى حسب المسدّي تجمعت و أفرزت نمطا من الخطاب المضاد في مجال النقد الأدبي، و هذا شأن عربي خالص، فعند الآخرين قد يتواتر التظلم من النظرية النقدية المحددة، و لكن لا يعمم التظلم على كل النظريات المصاحبة لها، و لهذا قام المسدّي على موازنة بين ما يحصل في الثقافة الغربية والثقافة العربية فتوصل إلى أن الاشتكاء من ظاهرة الغموض هو من البدع الفكرية و التصنع مبررا ذلك و مستشهدا بأسماء من رواد النقد العربي .[1]

كذلك يبرئ المسدّي المصطلح من مسؤولية ظاهرة الغموض ، و أن الإشكال قائم في صلة الإنسان بالمفهوم و تحول المشكل من دائرة المعرفة النقدية إلى دائرة الثقافة التواصلية .

كما يؤكد المسدّي أن المؤمنين بأقدار المعرفة لا يرمون المعرفة بأحجار الغموض ، بل يعملون على التأسيس لضرب من الخطاب المضاد داخل مواقع الفكر التحديثي محاولة منهم تجنيب المناهج ظاهرة الغموض بكل ما فيها من نسبية ثقافية .

[1] ينظر: عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب لنقد ، ص ص (175 – 202) .

الفصل العاشر: الاحتفاء الثقافي و العقل النقدي الغائب:

يبد أ عبد السلام المسدّي هذا الفصل بالحديث عن كثرة الكتابات حول ظاهرة الغموض في النقد الحديث، بعقد الندوات، و تنظيم الملتقيات، و تهيئة حلقات النقاش، و الموضوع دوما هو غموض الخطاب النقدي، ووصف المسدّي هذه الإشكالية بأنها مجرد دعوة مزيفة وتفتقر إلى بعد معرفي ، بل هي مسالة التنافس التي حشرتهم فيها أدوات الإعلام العصرية وآليات التواصل الثقافي لذلك احتدم الصراع و مبعثه في كثير من الأحيان ليس الخلاف النقدي بقدر ما هو التنافس على المواقع و ذلك بإقحام فيها أشخاص لا باع لهم في النقد سوى أنهم زادوا من تعقيده و تأزمه .

و لمعالجة هذه الإشكالية استدل عبد السلام المسدّي بعدة أسماء من النقاد و الشعراء و الأدباء العرب من بينهم" يوسف بكّار" الذي كتب بحثا بعنوان " نقدنا و نقدنا العربي الحديث مقاربة عامة " جمع فيه من الشواهد ما يقدم مادة غزيرة تحمل دلالات وفيرة عن مواقف النقاد و المبدعين حيال النقد العربي ، مما جعل هذا البحث يتسم بالحيادية في العرض و الموضوعية العلمية .

لكن سرعان ما ينخرط هذا الناقد في خطاب التشهير بشكل مقنع ،فمن خلال نشر رسالته " بناء القصيدة العربية " حيث ظهر التجديد النقدي عنده بشكل واضح تأتي المفاجئة من خلال تغيير عنوان " بناء القصيدة العربية " إلى " بناء القصيدة في النقد العربي في ضوء النقد الحديث " و هذا حسب المسدّي انخراطا في خطاب التشهير ، كذلك نزار قباني الذي ربط قضية الحداثة بقضية أطفال الحجارة بفلسطين فإما أن تلعن معه الغموض فتلعن الحداثة في الشعر و في النقد و إلا فأنت خصم على أطفال الحجارة و عدو على القضية ، إنها مسألة الأضواء و انخراط الشاعر في خطاب الزيف و التشهير ، كما يفسر عبد السلام المسدّي إشكالية الغموض النقدي بظاهرة العقل النقدي الغائب و المتمثل في غياب الوعي الغائص على مبطنات الظواهر و غياب العقل الكاشف لمخفيات السطوح البادية، و هذا ما يفسره المسدّي انخراط رواد في إنتاج خطاب التشهير ، إضافة إلى هذا يستشهد المسدّي بأسماء لتبرير موقفه لكن هذه المرة برواد لم تهزهم رياح التشهير مثل شكري عياد، و عبد القادر القط . [1]

و في الأخير يمكن اقول أن تفسير ظاهرة الغموض حسب المسدّي هو حصول ارتباك معرفي سببه تخالط الذات العاقلة عند الناقد مع الذات الثقافية التي هي مجمع أصداء الوضع الاجتماعي و الحضاري الذي تمر به المؤسسة المعرفية ، وكما قال المسدّي فلعل صوت الاعتراض الذي يصوغه علماء أجلاء هو الذي سيصحح مسيرة العلم أولا ، ثم يصحح مسيرة الثقافة .

[1] ينظر: عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص ص (203 - 242).

الفصل الحادي عشر : في تصحيح الخطاب النقدي

ينطلق عبد السلام المسدّي من أن الالتفاف إلى منجزات المعرفة لمراجعتها و تصحيح مسارها و تصويب أخطائها أهم من مواصلة انجاز المكتسبات الجديدة و التمادي في تحقيق التراكم الكمي ، والنقد الأدبي الحديث هو معرفة قائمة بذاتها ينطبق عليه كما ينطبق على أي معرفة ، و لكن اللافت للانتباه أن الكتابات الهادفة لتصحيح المعرفة قد تكاثرت و تنوعت مشارب أصحابها فانقسم ممارسوها إلى فريقين برأي المسدّي :

فريق يمثله أناس يقدمون النصح إلى المعرفة فيكشفون لها ولأهلها الأخطاء مؤمنين بأن الخطاب من طبيعة الوجود، و فريق آخر يمثله آخرون يؤلفون في نقد النقد خطاب كأنه الاغتياب ، فيه الهمز و عليه اللمز ، وبه الوشاية يوشك أن يدخل تحت طائلة الطعن لأنه لا يتورع من التشكيك في سلامة السرائر أو نبل المقاصد ، إذن هما معسكران يمثلان نقد النقد بما هو خطاب نصيحة ، و نقد النقد الذي هو اغتياب ، ربما لأن الأول يحتكم إلى حمية معرفية و الثاني يحتكم إلى حمية ثقافية .

يمعن المسدّي في تحليل أنموذج من الكتابات التي أصر أصحابها فيها على إنتاج الخطاب النقدي المضاد و هو كتاب "نقد حداثة" لحامد أبو أحمد الذي يستنجد هو الآخر بشاهدين من كبار النقد هما "عبد الله الغذامي" و "عز الدين إسماعيل ". كما بحث المسدّي في أنموذج آخر وهو كتاب" في نظرية الأدب " لشكري عزيز الماضي، و هو أنموذج آخر استثنائي من الخطاب الذي هو تحديثي حتى الرميم، و معرفي حتى المناورات، و لكنه في نفس الوقت نقضي للتجديد، رفضي للمعرفة.

و ينتهي عبد السلام المسدّي إلى أن غموض الخطاب النقدي كلمة حق تتحول في الأدبيات المضادة إلى كلمة وقود إلى الباطل ، و عجمة المصطلح في النقد الحديث كلمة باطل تساق مساق كلمات الحق لأنها تستدر حواس النفس الهينة .فغموض الخطاب النقدي صار ذريعة ثقافية يستنجد بها الخطاب المضاد باحثا فيها عن مسوغات نقدية .

و كحل لمعالجة إشكالية الغموض النقدي استراتيجية محكمة هدفها الأول هو سحب البساط من تحت أرجل الآلة الثقافية المنتجة لخطاب التشهير الناسف و هدفها الآخر تفكيك أدوات الخطاب الصانع لمنظومة الاعتراض .[1] و بذلك تتحقق غاية مزدوجة هي في الآن نفسه علمية و ثقافية: تفادي إضفاء أي مشروعية فكرية على كل الذرائع المقدمة من معسكر الناقضين لفكرة الارتقاء المعرفي في مجال النقد الأدبي. ومن باب أولى و أحرى تفادي تقديم المبررات الوجيهة التي تحول الذرائع إلى حجج استدلالية.

[1] ينظر:عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص ص (143 - 291).

الفصل الثاني عشر: النص النقدي و حيثيات كتابته.

يبادر المسدّي في آخر فصول الكتاب إلى التساؤل عن الذي تعود إليه مسؤولية إنتاج الخطاب النقدي ، إذ تم التسليم بأن كل نص فكري هو نص نقدي و أن كل نص نقدي هو نص فكري ، كل ذلك انطلاقا من فكرة البحث عن حيثيات إنتاج الكتابة النقدية ، و طبيعة الخطاب الذي يلف القول النقدي و ذلك بالنظر إلى خط السياق سواء كان داخلي أو خارجي .

إن الفكر النقدي على الصعيد الإنساني . برأي المسدّي . قد حمل هموم الحيثيات المتصلة بإنتاج النص الأدبي و لكن الفكر النقدي لم يحمل بما يكفي هموم الحيثيات المتصلة بإنتاج النص ذاته ، فربما الأعراف قضت بأن يهتم بمضمون النقد و يزهد في الكشف عن جواهر إنتاجه، و النتيجة أن النقاد يتناقلون القيمة و لا يولون اهتماما لحيثيات صدور القيمة ذاتها .

يستمر المسدّي في إثبات هذه الحقيقة بالوقوف على الحيثيات التي من خلالها يتم إنشاء النص ، من أجل إدراك عمق العلاقة بين فعل الكتابة و حيثياته ، وهذا من خلال أمثلة من التاريخ الثقافي العربي و ذلك بمراجعة المقدمات التي جاءت في مطلع أمهات المصادر ، مما كان يأتي عادة تحت تسمية خطبة الكتاب أو من خلال كتب لأعلام غربيين كجاكبسون ، و تود وروف و غيرهم .[1]

[1] ينظر: عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص ص (293 - 350).

ثالثا : المرجعية النقدية في كتاب الأدب و خطاب النقد .

إن تحديد المرجعيات النقدية التي يستند عليها الخطاب النقدي عند عبد السلام المسدّي في كتابه "الأدب و خطاب النقد" ، أمر في غاية الأهمية لأن ذلك يساعد على تحديد انتمائه الفكري ، كما يساعد في تفسير القضايا التي يحتويها الكتاب . فالمنطلق في تحديد مرجعية المسدّي اللسانية ابتداء إلى ما قاله هو عن نفسه << و إذا قد كُتب على بعضنا أن يكون منذ ثلاثة عقود جزء من منظومة ثقافية مرجعها البحث اللغوي الحديث ، و مستندها الانتماء إلى المؤسسة الأكاديمية أولا و آخرا ، و عمادها الالتزام بمقومات الهوية الحضارية التي لا انفصال للعلم عنها و لا انفكاك للمعرفة عن ميثاقها ، فإن حالنا في هذا المقام حال من يسوق شهادته على آليات الإنجاز المعرفي كما استقامت طيلة هذه الحقبة من الزمن الراهن دونما إغراق في السيرة و لا تنصل من تبعات الالتزام >> [1] . هذا الكلام دليل واضح على المرجعية اللسانية لعبد السلام المسدّي .

كما نجد عبد السلام المسدّي في معظم فصول الكتاب يتحدث عن علوم اللغة و التضافر المعرفي بين النقد و اللسانيات حيث يقول : << أن للنقد الأدبي مع اللسانيات ارتباطا ، بل أضربا من الروابط تتعدد بتعدد و جهات النظر ، و تتكاثر بتكاثر منطلقات البحث و مقاصده >> [2] . مثلما أشار أيضا إلى الرابطة التضافرية بين اللسانيات و النقد ، و علم الأسلوب هو طريق الوصول إلى اللسانيات مبينا أنه من خلال الأسلوب تسلك اللسانيات إلى النقد الأدبي ، و يوضح ذلك في كتابه "الأسلوبية و الأسلوب " دور اللسانيات في مختلف العلوم و إنها بمثابة عماد العلوم << إن اللغة هي القاطع المشترك لدائرتين متداخلتين ، فهي للألسنية موضوع العلم ذاته ، وهي للأدب المادة الخام شأنها شأن الحجارة للنحاة و الألوان للرسام و الأصوات لواضع الألحان >>[3] . هذا الكلام يوضح أن عبد السلام المسدّي لساني بالدرجة الأولى لأنه يتحدث عن اللسانيات في معظم مؤلفاته .

و لا يختلف موقف صلاح فضل عن المواقف السابقة في القول بمتانة العلاقة و التضافر القائم بين الأسلوبية و الألسنية ، و بأن تلك تستند إلى معاييرها و توظيف مبادئها المنهجية ، حتى عدت فرعا جزئيا منها ، وتخضع لشروطها العامة في التحليل << و قف في معظم الحالات إلى جوار النظرية النحوية و تماثلها >> [4] .

---

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص 73 .
[2] المصدر نفسه، ص 67.
[3] عبد السلام المسدّي: الأسلوبية و الأسلوب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط5 ، 2006 ، ص 46 .
[4] صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط2 ، 1985 ، ص 115 .

نجد عبد السلام المسدّي في كتابه الأدب و خطاب النقد يتحدث عن النقد العربي و ما شهده من تغيرات في المناهج و الاتجاهات مستشهدا برواد من الألسنيين العرب الذين أغنوا مجال النقد العربي على حد تعبيره كما نجد تنوع الأسماء و المؤلفات الغربية .

أ –المرجعية اللسانية :

تتجسد المرجعية اللسانية العربية في ذكر عبد السلام المسدّي لموضوع علم الأسلوب ، و استدل بأسماء نقاد عرب معتبرا أنهم أغنوا المشروع العربي << و المؤسسة المعرفية العربية الأسلوبية في مجالنا العربي المعاصر إذ جاز لنا أن نتحدث بتلك الصياغة مرجعياتها البارزة ما أنجزه د. محمد الهادي الطرابلسي في مباشرة النص الشعري و في إثارة قضايا النص ، و عمل د. سعد مصلوح على شق سبيله في صبر و مثابرة و ما أفاض في تدوينه د. صلاح فضل و د. محمد عبد المطلب ، وما اجتهد في تركيزه موريس أبو ناصر ، وما يكد د. عبد الله صولة في ترسيخه على أناة بالغة >>[1] . كما احتل الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف مساحة كبيرة من الكتاب خاصة في تحليل كتابه " اللغة وبناء الشعر " حيث اعتبر عبد السلام المسدّي أن هذا الكتاب يجمع بين الخطاب في العلم و الخطاب عن العلم. فهو يدقق شارحا و متوسلا بصياغة جديدة هي أن النص لا يمكن أن يتنصص إلا بفتل جدلية بين البنيوية النحوية و المفردات أي فهم النص على مستوى الجملة أولا ثم على مستوى النص ، و يوضع المؤلف محمد حماسة للقراء هذه الرؤية العميقة مشيرا إلى أصولها السوسورية . كما تحدث عبد السلام المسدّي عن قيمة هذا الكتاب أي" اللغة و بناء الشعر" و إسهامه في إرساخ لسانيات النص في النقد العربي[2] .

أما الأسماء الغربية التي استدل بها عبد السلام المسدّي نجد عدة أسماء و مؤلفات نذكر منها على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر عدة رواد منهم :

إدوار سابير : هو رائد من رواد اللسانيات يعتبره المسدّي أنموذج يُنبئ عن وشائج الصلات بين كل نظرية لسانية و مقومها الإبداعي ، و بذلك اهتم المسدّي في قراءاته لأراء سابير و تأكيده في كل مرة على التسليم بها و الانطلاق من أرضيتها ، و كان غرضه في ذلك هو التنبيه إلى ثلاث حقائق لم ير من أثارها أو تصدي لمعالجتها من الزاوية التي تناولها بها :

القضية الأولى أن كثيرا من أراء سابير في مجال النظرية اللسانية العامة تحتفظ بوجاهة معرفية ثابتة وإن لم تعد مسَيجة داخل جهاز نقدي متماسك .

---

[1] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، ص 85 .

[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص ص(233 - 234 - 237)

القضية الثانية : مدارها أن ادوار سابير قد تمكن من صياغة رؤية حول الظاهرة الأدبية موظفا في ذلك المستلزمات الطبيعية الناتجة عن نظريته اللسانية .

القضية الثالثة فلعلها الأصل الثاوي وراء القضيتين السابقتين لأنها تأتي كالمفسر التعليلي لهذا التفرد الذي أنجزه أدوار سابير [1] .

رومان جاكبسون : أشار إليه المسدّي و أعطاه القدر الكافي من الاهتمام في كتابه ليستشهد بأفكاره و أرائه باعتباره رائد من رواد اللسانيات يمثل بمفرده نقطة انعطاف في تاريخ العلاقة القائمة بين العلم اللغوي و العلم النقدي ، فقد كان لرومان جاكبسون الفضل في تحقيق القفزة المعرفية التي أنجزتها تضافرية البحث بين حقل اللغويات وحقل الأدبيات كما ذهب المسدّي إلى البحث في كتاب" اللسانيات و الشعرية"

و هكذا يتضح حرص المسدّي على الاستدلال بمواقف جاكبسون في توطيد العلاقة التضافرية بين علم اللسان و علم الأدب ، ومن خلال هذه الأسماء التي ذكرها المسدّي في كتابه "الأدب و خطاب النقد" تتجسد المرجعية اللسانية بكل وضوح .

ب –المرجعية الحداثية :

أما عن المرجعية الحداثية في كتاب "الأدب و خطاب النقد" تتجسد من خلال القضايا التي عالجها عبد السلام المسدّي خاصة في فصل " أدبيات الغموض النقدي " و فصل " الاحتفاء الثقافي و العقل النقدي الغائب " . فالتساؤلات التي طرحها حول غموض النقد الأدبي الحديث منذ مطلع الربع الأخير من القرن العشرين، هذه التساؤلات و أخرى قادته إلى الدفاع عن النقد الحديث و تبرئته من تهمة الغموض و ذلك بمقولات بعض القامات الشامخة و أعمدة النقد العربي في العصر الحديث و من هؤلاء الرواد :

–عز الدين إسماعيل الذي عده عبد السلام المسدّي من المبادرين إلى تلقي النقد الحديث و الخروج عن المألوف فطوعوا النقد، وأغنوا المشروع العربي ، و ذلك باعتماده المناهج الحديثة و العمل على التجديد و يظهر ذلك في كتبه المختلفة منها " الأدب و فنونه " ، " الأسس الجمالية في النقد العربي " << و أهمية هذه المحطات ليست في أنها تغمر سائر المدونات التي أنجزها الناقد و إنما هي تكمن في ماهي حامل به من إرهاصات تربأ بصاحبها أن ينخرط يوما في حزب القاذفين بتهمة الغموض النقدي . و كان طبيعيا أن يتحول الرجل إلى راعيا لمشروع مجلة فصول و كان طبيعيا أكثر أن يغني المشروع

[1] ينظر: عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص (132 - 133).

العربي بترجمة حية لمصنف" روبرت هولب " : نظرية التلقي سنة (1994) >>[1]. هذه الإنجازات النقدية عند عز الدين إسماعيل جعلته من النقاد المجددين

كذلك يعد شكري عياد من الذين حملوا الهموم الفكرية الكبرى و بذلك رجع إليه المسدّي باعتباره رائد من رواد النهضة العربية ، فشكري عياد لم يشك غموضا و لا توجع من استعصاء بل انخرط كليا في مشروع التحديث و اتضح ذلك جليا منذ البدايات مع " موسيقى الشعر العربي " ثم مصنف " بين الفلسفة و النقد " فمصطلح الغموض و التظلم غير واردة في معجم هذا الناقد . هذا ما جعل المسدّي يستدل بآرائه و مؤلفاته في مشكلة الغموض النقدي ، وقد أغني شكري عياد المشروع العربي منذ اتجاهه إلى البحث في كتاب أرسطو و بالتالي فهو سافر بخطابه النقدي إلى منتهى الحداثات الوافدة ، كما يرى شكري عياد أن المسألة النقدية متعلقة بالتواصل الثقافي أكثر مما هي متعلقة بمضمون المعرفة ولا بطبيعة المناهج . [2]

. يوسف بكّار الذي يقول عنه عبد السلام المسدّي أنه كتب بحثا بعنوان " نقدنا و نقدنا العربي الحديث . مقاربة عامة " جمع فيه من الشواهد مادة غزيرة تحمل دلالات وفيرة من مواقف مجموعة من المبدعين و النقاد إزاء النقد الأدبي الحديث في واقعنا العربي الراهن و هذا من غير شك في الجهد العميم الذي بذله الباحث و لا في نبل المقاصد التي عليها يتوق .

يضيف المسدّي أن الملمح الذي يفرض نفسه أثناء رصد الخطاب المضاد الذي شاع عبر قنوات التواصل الفكري الجديد هو الحيادية في العرض. هذا ما اعتمده يوسف بكّار في كتابه" نقدنا و نقدنا العربي الحديث مقاربة عامة "

. حامد أبو أحمد : يقدم المسدي رأيه في الأساس الذي يتناول من خلاله كتابه " نقد الحداثة " فعبد السلام المسدي يرى ما يغري في هذا الكتاب فيمكن تحليله من موقع الاعتراض على الحداثة النقدية أكثر من موقع الانتصار لها أو الالتزام بها أو حتى من موقع الحياد لها .[3]

من خلال الرواد الذين استدل بهم عبد السلام المسدي يمكن القول أنه يرفض تصور احتمال البحث عن نظام شامل كلي لحدود الحداثة و أن محاولة ضبط القوانين المتحكمة في مفهوم الحداثة على مسار الحاضر و التاريخ الزمني عملية مخطئة جوهريا ، فهو يعتقد أن << بوسعنا أن نستوعب الحداثة

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص 183 .
[2] ينظر : المصدر نفسه ، ص ص (184 - 185 - 188).
[3] ينظر : إدريس بن فرحات ، المرجعية المحددة للآراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدّي في كتابه الأدب و خطاب النقد ، مجلة مقاليد ، ع 6 ، جوان ، 2014 ، ص137 .

ضمن ما يسميه بالمنطلق الثنائي، القائل بأن الحداثة حداثتان : حداثة التجديد، أو التجديد في المدلولات دون دك حواجز القوالب المستوعبة له، وحداثة التجدد، أو الانسلاخ التاريخي المتحول على مستويين : مستوى المضامين، ومستوى تفجير القوالب الصياغية أو الأدائية>>[1].

و في الوقت الذي يرى فيه المسدّي أنه من العدل و الحكمة الإقرار بالتحتم و الاضطرار إلى التجديد النقدي، إذ يقول<< فمن مجانبة الحق، والميل عن الصواب، وركوب الهوى، أن نضرب بمطرقة الشك وجاهة التجديد النقدي ومشروعه، والحال أن الأعدل والأحكم أن نقر بتعينه وتحتمه والاضطرار إليه>>.[2]

يستدرك عبد السلام المسدّي في كل مرة على أنه لابد من رعاية مستمرة لحركة التجديد النقدي، ولابد أيضا من تصحيح أخطائها من خلال مراقبتها فيقول :<< أما الذي هو الحق، ولا مناص من الاعتراف بأنه حق، ويتعذر أن تجر أعناقه إلى غير الحق، فيتمثل في أن حركة التجديد النقدي في حاجة إلى برج للمراقبة حيث ترعى مسيرتها، وترصد ذبذبات تنقلها، وحيث يؤتى إلى الأخطاء التي تعتريها فيتم تصحيحها>>[3].

من خلال هذه المواقف ومن خلال ما قدمه المسدّي من شواهد ، من رواد ، من مؤلفات، سواء من العرب أو الغرب في كتابه الأدب و خطاب النقد تتضح معالم المرجعية اللسانية في تجربته القائمة على التضافر بين النقد و اللسانيات و المرجعية الحداثية بنظرته الخاصة لمفهوم الحداثة .

[1] إدريس بن فرحات : المرجعية المحددة للآراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتابه الأدب وخطاب النقد،ص137 .
[2] عبد السلام المسدّي : الأدب وخطاب النقد ،ص223.
[3] المصدر نفسه ،ص265.

الفصل الثاني

إشكاليات النقد العربي المعاصر

أولا: إشكالية الحداثة.

1- مفهوم الحداثة.

2- ثنائية الحداثة والتراث.

3- بين حداثة النقد وحداثة الإبداع.

ثانيا: إشكالية المصطلح النقدي.

1- مفهوم المصطلح.

2- مرجعيات إشكالية المصطلح النقدي.

3- الحد من إشكالية المصطلح النقدي.

ثالثا: إشكالية الغموض النقدي.

1- مفهوم إشكالية الغموض ومرجعياتها.

2- الخطاب المضاد وخصائصه.

3- الحد من إشكالية الغموض النقدي.

أولا : إشكالية الحداثة :

1 – مفهوم الحداثة :

إن مصطلح الحداثة أثار الكثير من الجدل الذي يثره أي مصطلح آخر من قبل ، ولقد تعددت الأسباب و تداخلت لهذا الجدل القائم حول هذا المصطلح ، منها أنه منقول من بيئة غربية و حمل معه الكثير من الغموض و الالتباس و لم يستقر على مفهوم واحد ، ووجد بيئة عربية فيها الفكر وهنا على وهن فزاد هذا المصطلح غموضا ولالتباسا ، كما أن التمايز بين الثقافة العربية و الثقافة الغربية يؤثر على وضعية المصطلح . فما مفهوم الحداثة ؟

إن الحداثة في المعجم الوسيط و هو أهم المعاجم العربية الحديثة <<الحداثة مصدر الفعل حدث نقول حدث الشيء حدوثا و حداثة بمعنى نقيض قدوم ، و الحداثة هي سن الشباب ، يقال أخذ الأمر بحداثته أي بأوله وابتدائه >> [1].

أما في الاصطلاح فتعددت مفاهيم الحداثة و يرجع عبد الله الغذامي هذا التعدد إلى كون كل مفهوم هو اجتهاد فردي و رؤية شخصية هذه الرؤية <<هي بمثابة الموقف الخاص أكثر مما هي تصور معرفي مشترك >>[2] . كما يعرفها انطلاقا من ثنائية الثابت و المتغير و اعتمادا على الموروث فالحداثة << معادلة إبداعية بين الثابت و المتغير ، أي بين الزماني و الوقتي ، فهي تسعى دوما على صقل الموروث لتعزز الجوهري منه فترفعه إلى الزماني ، بعد أن تزيح كل ما هو وقتي ، لأنه متغير ومرحلي و هو ضرورة ظرفية تزول بزوال ظرفها ، وتصبح طورا يسهم في نمو الموروث ، لكنــــــه لا يكبل الموروث أو يقيده >>[3] .

من خلال هذا التعريف يتضح أن الحداثة هي تغير في الحياة الفكريـــــة و هي وقتية كما أنها تساهم في نمو الموروث دون تقييد.

يتميز عبد السلام المسدّي بجهوده الملحوظة في تأصيل الحداثة << هكذا أصبحت الحداثة تعانـــــــي إشكالا تصوريا متعدد الواجهات و على هذا الأساس يتعذر على الناقد تناول موضوع الحداثة من موقـــــع التنظير ما لم يفك التعاظل الاصطلاحي الحائم حول اللفظ و التشابك المفهومي الراكن في

---

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، مادة (حدث) ، ص120.

[2] عبد الله الغذامي: تشريح النص مقاربة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ،ط2 ،2006 ،ص10

[3] المرجع نفسه، ص 13.

مظان المدلول >>[1] يتضح من هذا التعريف أن الحداثة مقولة متلابسة في الأدب العربي بسبب الفوضى في استعمالها، فهي من جهة اللفظ دال متعدد الوجهات حسب سياق الجملة و من جهة المعني فهي حاملة لمدلولات متعددة تصل حد التناقض و نتيجة لتفاقم الوضع استحالة مباشرة أية ممارسة فعلية لمشروع التحديث دون فك شفرات ذلك التداخل المصطلحي لأن هذا المصطلح وليد بيئة غربية مغايرة للبيئة العربية كما لا يمكن عزله عن السياقات المعرفية التي لفظته و حمل جزاء من خصوصياتها في وعائه الدلالي .

تعرف الحداثة أنها << وضعية فكرية لا تنفصل عن ظهور الأفكار و النزعات التاريخية التطويرية و تقدم المناهج التحليلية التجريبية و هي تتبلور في اتجاه تعريف جديد الإنسان عبر تحديد جديد لعلاقته بالكون ، إنها إعادة نظر شاملة في منظومة المفهومات و النظام المعرفي ، أو ما يكون صورة العالم في وعي الإنسان و من ثما يمكن أن يقال إنها إعادة نظر في المراجع و الأدوات و القيم و المعايير>>[2] .

إن الحداثة في هذا السياق هي تغير في الأفكار، و انطلاقا من هذا المستند يمكن القول أن الحداثة خلخلة لكل الثوابت التي عرفها المجتمع الغربي على كل الأصعدة السياسية، والاجتماعية، والفكرية ، فهي تمرد على كل ما هو سائد غذّى شوكتها استنادها إلى اتجاهات فلسفية و كذا مناهج العلم التجريبي و يعرف عبد السلام المسدي الحداثة في موضع النقد موضحا أهمية التمازج الثقافي بين العلوم و مصاهرة النقد العربي للمناهج قائلا :<< و سلمت بأن الفكر إنساني شامل ، و كذلك الأدب والنقد ، كانت القراءة الفاحصة عندئذ هي الصدى الأمين والمترجم الوفي للحداثة النقدية مطلقا >> [3]. إن هذا التعريف يوضح أن الحداثة هي القراءة الفاحصة و الثاقبة للنقد .

انطلاقا من هذه التعريفات المختلفة للحداثة يتضح أن الحداثة مازالت إشكالية يعاني منها النقد العربي الراهن ذلك لوجود الالتباس حولها، و يمكن اختزال نتائج إشكالية الحداثة في معضلة مصطلحية سرعان ما انبثقت عنها عوالق فكرية خطيرة تجر في غالب الأحيان إلى اضطراب في الفهم و فوضى في التداول.

2- ثنائية الحداثة و التراث :

من افرازات الحداثة و ما جاءت به من انفتاح على المنجزات الفكرية في الغرب واستقبال ثقافته لم يلقَ التأكيد المطلق في الساحة العربية ، و كثيرا ما جابته أنصار التراث بالمقاطعة و الرفض . و المتأمل في أسباب تلك المواقف يجدها مرتبطة بقلق شديد يوضح سعد البازغي مرجعياته في قوله << و مصدر القلق ليس بالضرورة الرغبة في عدم استقبال الآخر، أو العزلة الثقافية ، وإنما هو ناتج عن الإحساس بأن

[1] عبد السلام المسدي : النقد و الحداثة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ، ص 8 .
[2] خالدة السعيد : الملامح الفكرية للحداثة ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ع68 ،2006 ، ص152 .
[3] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، ص 227 .

ما يقدمه الآخر ينطوي على جانبين :

الأول: أن استقبال الآخر كثيرا ما يتحول إلى نوع من الاستهلاك أو التهالك الذي يؤدي إلى ضمور القدرة على الإبداع نتيجة الاعتماد على جاهزية المعطى الغربي .

الثاني: أن ما يمكن استقباله من الآخر يتضمن ما يوجب الرفض و ما يوجب القبول في الوقت نفسه و أن العلاقة الثقافية لا تخلو من الاثنين معا >>[1] .

و لقد أشار عبد السلام المسدّي أيضا إلى تجذر هذه الإشكالية ، و تعارض أراء النقاد إزاءها و أحيانا يبلغ ذلك حد التصارع فيما يعرف بإشكالية الأنا/الآخر ، ذلك ما يوضحه في قوله << فقد سبق لأجيال من النقاد العرب أن تباينت رؤاهم حول النسق الذي يجمل بالنقد الأدبي أن يتوخاه في أمر التحديث المنهجي ، و تصاقبت تقديراتهم حول مكاييل الجرعة التي يشين نقدنا العربي ، أن يتطعم بها عند الأخذ من المعرفة الأجنبية شرقيها و غربيها ، وذلك بحسب الظرف الذي تمر به ذبذبات معادلتنا الحضارية في ثنائية الأنا و الآخر . فبين الغلبة و المُغالبة تفيض حمية الأنا فتسحق شرعية الآخر، أو تهدأ هوجاء الثأر فينبجس من جسد الآخر إشعاع الإنارة بلا حدود و بلا جوازات>>[2]. و هذه المواقف التي رصدها المسدي إزاء الحداثة الغربية نتيجة المواقف التي بلورتها في شكل ثنائية ضدية لا يقبل طرفاها التعايش معا.

و يرى الجابري في كتابه" التراث و الحداثة " في موقف يستغل فيه التراث لأجل التحديث << و عندما تكون الثقافة السائدة تراثية فإن خطاب الحداثة فيها يجب أن يتجه ، أولا و قبل كل شيء إلى التراث بهدف إعادة قراءته و تقديم رؤية عصرية عنه ، و اتجاه الحداثة بخطابها ، بمنهجيتها ورؤاها إلى التراث هو في هذه الحالة اتجاه الخطاب الحداثي إلى القطاع الأوسع من المثقفين و المتعلمين >>[3]. بهذا الكلام نفهم أن الجابري يريد أن نمشي في طريق الحداثة و لكن بالرجوع إلى التراث و قراءته و تقديمه في رؤية عصرية .

إن السجال القائم بين المحافظين و المجددين يجب أن يكون في إطار بَنَّاء قصد الارتقاء بالنقد و الجمع بين التراث و الحداثة من أجل الرقي و التقدم << فعند الجميع تقوم مساجلات تقسم صفوف المهتمين بالأدب و بالنقد إلى معسكرين : معسكر المحافظين الذين يطعنون في شرعية الجديد النقدي و معسكر المجددين الذين يحذرون من تقادم الكلاسيكيين ، من كلا الجانبين تصدر و تتفتق القرائح عن

[1] سعد البازغي : استقبال الآخر (الغرب في النقد العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2004 ، ص15.
[2] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص176 - ص177 .
[3] محمد عابد الجابري : التراث و الحداثة دراسات و مناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص17 .

الإستدلالات فتتلاطم البراهين و تتقادح الأفكار >>[1] إن ثنائية الحداثة و التراث هي علاقة طبيعية لأنها تحصل في معظم الثقافات الإنسانية ، إلا أن الفرق بين الثقافة الغربية و العربية أن الأولى تقدم الحجج و البراهين أما الثانية فإنه مجرد سجال لا يفيد النقد بشيء .

في نفس السياق فالحداثة سعي دائم للتجديد و الابتكار ، و رفض قاطع للجمود أو التقليد ، فهي تعني الفرادة و التميز ، دون الانقطاع عن التراث الفكري أو رفض لقيم هذا التراث . بل استمرار للعناصر الحية فيه و رفض لما يُدْعَى بالتعصب التراثي [2] .

في الأخير يمكن القول أنه من أجل الرقي و التقدم بالنقد العربي المعاصر يجب أن نستغل التراث في إطار حداثي دون أن نفقد الهوية العربية في نفس الوقت نبتعد عن الجمود الفكري الأدبي و النقدي .

3 – بين حداثة النقد و حداثة الإبداع :

في مواضع عديدة من كتاب الأدب و خطاب النقد يحاول عبد السلام المسدّي إزالة الالتباس القائم عند الأدباء و النقاد و المتلقين حول مفهوم الحداثة الإبداعية و الحداثة النقدية لأن هذا الخلط القائم بين المفهومين قد أدي في كثير من الأحيان إلى غموض و اضطراب في فهم الخطاب النقدي .

يفرق عبد السلام المسدّي بين الحداثة النقدية و الحداثة الإبداعية قائلا :<<إنه يتناول الحداثة النقدية من حيث هي المناهج الجديدة التي تصدي لثلاث نماذج من نماذجها العربية ، فمدار الأمر هو إذن الخطاب النقدي ذاته بوصفه معرفة متأسسة ذات مضمون معرفي يمكن أن يغمرها التقادم أو تهب عليها رياح التجديد ، و هذا شيء مستقل عن الحداثة الإبداعية تلك التي يبحث أصحابها عن قوالب جديدة في الشعر و عن أجناس مبتكرة في القص و السرد و الرواية >>[3]. من خلال هذا الكلام يوضح المسدّي أن الحداثة النقدية هي نتيجة المناهج النقدية الجديدة التي توالت من الغرب على الأدب العربي و ما تحتويه هذه المناهج في طياتها من خلفيات فلسفية كما يمكن لهذه المناهج التقادم بمجيء مناهج أخرى أما الحداثة الإبداعية فهي قوالب جديدة في الشعر و النثر بمختلف أنواعه .

و في نفس المنوال وعلى نفس السياق يوضح المسدّي بأنه يمكن معالجة النص الإبداعي القديم بمنهج حديث ، كما يمكن معالجة النص الإبداعي الحديث بمنهج قديم << ومن لا يعلم أن الناقد يستطيع أن يتناول أدبًا حداثيًا بمقولات المأثور كأن يعالج نصوص محمود درويش أو عبد الوهاب البياتي بالمنهج

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص180 .
[2] ينظر: محمد عابد الجابري : التراث و الحداثة ، ص17 .
[3] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص248 .

التاريخي أو بالمنهج الانطباعي ، و يستطيع كذلك أن يتناول نصوص المتنبي أو المعري أو أحمد شوقي بالمنهج الأسلوبي أو المنهج السيميائي ، فالاستحداث في الأدب شيء ، و الاستحداث في مناهج نقد الأدب شيء آخر ، مغاير ، مخالف ، مباين ،و هذا مما غدا مسلمًا به في الوعي الثقافي العام فضلا عن بداهته المطلقة عند حصول الدرجات الأولى من الوعي النقدي المتأسس على بصيرة إيبسيمية >>[1].

إن هذا الخلط بين المفهومين هو من الأسباب التي أدت إلى وجود إشكاليات في النقد العربي المعاصر فنجد من النقاد من يدّعي إشكالية في المصطلح و تظلم الخطاب النقدي و هو لا يميز بين الحداثة في الإبداع و الحداثة في النقد .

في موضع آخر يوضح المسدّي الفرق بين الحداثة في الشعر و الحداثة في النقد موضحا أن النقد الحديث قد اصطنع لنفسه معجما خاص به من اللغة نتيجة تجدد المعارف و ما أفرزته من تطورات و مصطلحات جديدة بينما الحداثة في الشعر كانت قد تجرأت على اللغة و نالت من منظومتها [2]. و بهذا الخلط القائم بين المفهومين ظن بتجديد الخطاب النقدي ظن السوء و أصبح المُدّعون يَدّعون غموضه و تظلمه . و جرى على النقد ضرب من القياسات الظالمة.

هذه المرة يرجع المسدّي الالتباس القائم بين التحديث في الأدب و التحديث في النقد على المتلقي و ضعف مستواه << من أقوى الدوافع الداعية إلى تمكن الالتباسات من نفوس الناس بين عامتهم و خاصتهم الامتزاج الظالم الذي يحصل بين ضربين من التحديث : أحدهما في الأدب و الآخر في النقد و بون فسيح بين الضربين ، فواحد منها في خطاب الإبداع و الأخر في الخطاب الكاشف للإبداع ، واحد منها تحديث في دائرة الفن و الثاني تحديث في دائرة العلم ، ذلك في القول و هذا قول في الفن >> [3].

هذا الخلط كان نتيجة الخلط القائم بين المدارس أي بين مدارس الإبداع الأدبي و نظريات النقد الأدبي ، فالتيار المسمى بالفن للفن هو اتجاه يخص طبيعة الخطاب الأدبي في لحظة الإفضاء الفني ، أما البنيوية فطريقة يعالج بها النص مثل كثير من الطرق و المعالجات الأخرى .

في الأخير يمكن القول أن هناك فرق كبير بين الحداثة الإبداعية و الحداثة النقدية فالأولى استحداث في الأدب و الثانية استحداث في مناهج نقد الأدب ، فالحداثة الإبداعية تحديث في دائرة الفن و الحداثة النقدية تحديث في دائرة العلم ، كما يمكن القول أن العقل النقدي الغائب كما سماه المسدي هو السبب المباشر للالتباس القائم في مفهوم الحداثة كمصطلح وبين الحداثة النقدية و الحداثة الإبداعية .

---

[1] عبد السلام المسدي ، الأدب وخطاب النقد ، ص248 - ص249 .
[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص355 .
[3] المصدر نفسه ، ص ن .

ثانيا: إشكالية المصطلح النقدي :

لقد اهتم العرب منذ القديم بالدراسات المصطلحية اهتماما كبيرا ، ولعل ذلك يرجع إلى إدراكهم المبكر لأهمية المصطلح في كونه العمود الفقري الذي يتأسس عليه العلم و تتحدد بذلك معالمه و يكتسب شرعيته ، و مع تزايد المعارف و العلوم ، و جراء انفتاح النقد العربي على منجزات الحداثة الغربية أصبحت الإشكالية المصطلحية من أبرز الإشكاليات التي فرضت نفسها على أرض الواقع ، و نتيجة لهذا الوضع أولى الدارسون والباحثون العرب عناية كبيرة بالمصطلحات و البحث في مسبباتها و مظاهرها في النقد العربي، و يُعد عبد السلام المسدّي من أبرز النقاد الذين أولوا اهتماما كبيرا بإشكالية المصطلح ، و فحص جذورها ووصف الحلول المناسبة لهذه المعضلة التي طالما أرقته .

1- مفهوم المصطلح النقدي :

إذا عدنا إلى المعاجم اللغوية نجد لفظ المصطلح ينحدر من الجذر اللغوي "صلح " و قد جاء في لسان العرب أن << الصَلاَحْ : ضد الفساد ، و الإصْلاَح : نقيض الإفساد ، و الصُلْح : تصالح القوم بينهم ، و الصُلح : السِلم ، و قد اصْطَلَحُوا، و صَالحُوا، و أَصْلَحُوا، و تَصَالَحُوا ، و أصالحوا >> [1].

أما في المعجم الوسيط نجد لفظ المصطلح <<صَلُحَ ، صَلاَحًا ،و صَلُوحًا ، زال عنه الفساد اصْطَلَحَ ، اِصْطَلَحَ القوم : زال ما بينهم من خلاف ، و على الأمر: تعارفوا عليه و اتفقوا...>>[2] .

أما في الاصطلاح يعرف الجرجاني المصطلح بقوله :<<الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول ، و إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر ،لمناسبة بينهما ، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر ، لبيان المراد ، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين >>[3].

أما المسدّي في كتابه الأدب وخطاب النقد يقول بأن << لفظة المصطلح ذاتها هي – في مصفوفة المشتقات– اسم مفعول مُسْتَخرج من فعل متعد إلى مفعولين، فيكون من حقها أن تحمل معها مفعوليها فتقول : المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يصطلح بها أهل علم من العلوم على متصوراتهم الذهنية الخاصة بالحقل المعرفي الذي يشتغلون فيه ، و ينهضون بأعبائه ، و يأتمنهم الناس عليه ، ولا يحق لأحد أن يتداولها بمجرد إضمار النية بأنها مصطلحات في ذلك الفن إلا إذا طابق بين ما ينشده من دلالة لها

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،ج1 ، ط1 ، 1997 ، مادة(صلح)، ص60 .
[2] مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مادة (صلح) ، ص520 .
[3] الشريف الجرجاني : التعريفات ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4 ، د ت، ص44 .

وما حدود أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقا تاما>>[1]. من خلال هذا التعريف نجد عبد السلام المسدّي يوظف التحليل الصرفي لصيغة مصطلح قصد ضبط مكوناتها الأساسية ، وتحقيق إفادة معرفية أي الفائدة الإيبستيمية من خلال ما يتضمنه ذلك التفكيك اللغوي لمتضمنات مصطلح المصطلح، وتحديد مواصفات الذات المؤهلة للخوض في إشكالية المصطلح.

و في نفس الصياغ نجد يوسف وغليسي يعرف المصطلح بأنه << رمز لغوي مفرد أو مركب أحادي الدلالة ، منزاح نسبيا عن الدلالة الأولى، يعبر عن مفهوم نقدي محدد واضح متفق عليه بين أهل الحقل المعرفي أو يرجى منه ذلك >>[2].

إن المصطلح رمز لغويا يحمل صفة الاتفاق بين أصحاب الاختصاص. نجد عمر عيلان يتوافق مع يوسف أوغليسي في تعريف المصطلح بأنه<< كلمة أو مجموع كلمات تتجاوز دلالتها اللفظية و المعجمية إلى تأطير تصورات فكرية، و تسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص و ضبط المفاهيم التي تنتجها >>[3] .

المصطلح النقدي جزء من المصطلح العام و هو <<اللفظ الذي يسمى مفهوما معينا داخل تخصص و لا يلزم من ذلك أن تكون التسمية ثابتة في جميع الأعصر ولا في جميع البيئات ولا لدى جميع الاتجاهات . مثلا . أن يسمى اللفظ مفهوما نقديا لدى اتجاه نقدي ما ليعتبر من ألفاظ ذلك الاتجاه النقدي أي مصطلحاته>>[4] .

المصطلح النقدي يتفق عليه داخل أصحاب الاختصاص ولا يشترط ثباته عبر التاريخ. يتجدد المصطلح عبر الزمان و المكان تأقلما مع مستجدات العصر و معطيات الجديد الوافد ، إلا أن الثابت الذي لا يتغير هو أن المصطلح أداة تجمع كم من المعلومات أو الخصائص أو الصفات النوعية التي يتمتع بها الشيء في اصغر حيز لغوي دال هو اللفظة ، على أن تكون هذه اللفظة بديلا عنه في الفكر ذلك ما يحفظ حدود المعرفة و يحول دون تداخلها [5].

من خلال معظم التعريفات يتضح أن لفظ المصطلح يحمل دلالة الاتفاق و التجديد و الضبط خصوصا إذا ما تدخلت مجامع لغوية مختصة في ضبطه إلا أن << هذا الاتفاق لا يعني البتة جمود الدلالة أو بقائها كما هي ، بل إن عمل التجديد أمر قائم ، و إلا انغلق المعنى و استنزفت الدلالة و سجنت

[1] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، ص146 .
[2] يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2008 ، ص24 .
[3] عمر عيلان : النقد العربي الجديد مقاربة بين نقد النقد ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2010 ، ص43 .
[4] أحمد مطلوب : في المصطلح النقدي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، د ط ، 2002 ، ص278 .
[5] ينظر : محمد بلقاسم : المصطلح النقدي الإشكالية و التطبيق ، مجلة النص و الناص ، منشورات جامعة جيجل،ع4 ،أفريل ،2005 ،ص13 .

اللغة فيقل عطاؤها ولا تقوى على تجديد نفسها ، لذا فالاختلاف هو الذي يسمح للغة بالانفتاح على غيرها مجدد مصطلحاتها ، بل إن الاختلاف لا يكون حول وضع المصطلح ذاته و حسب ، بل يتعداه إلى المصطلحات الموجودة بين الحقول المعرفية المختلفة ، أو حتى على مستوى الحقل المعرفي الواحد ، وقد يكون الاختلاف بين القديم والجديد >>[1].

إن سمة الاتفاق هي أهم ما يميز المصطلح بشكل عام و المصطلح النقدي بشكل خاص ، ومن الواضح أن اتفاق العلماء على المصطلح شرط ضروري و لا غني عنه [2] ورغم أن المصطلح يعني الاتفاق و الوضوح ، فإن الأمر في الحضارة العربية و في النقد العربي خاصة مخالف للمتعارف عليه حيث أضحى المصطلح يعني الغموض و الاضطراب و الفوضى ، وأصبح المصطلح إشكالية معقدة يعاني منها الناقد و المتلقي ، فكل ناقد يبتكر مصطلحات و يترجمها على هواه .

2 – مرجعيات إشكالية المصطلح النقدي :

إن تأزم إشكالية المصطلح و تعقدها جعل عبد السلام المسدّي في كتابه "الأدب و خطاب النقد" يسعى إلى إقامة رؤية إزاء هذه القضية قصد الإلمام بأسبابها و مرجعياتها، و وصف الحلول التي يراها مناسبة للحد من هذه الإشكالية و تفاقمها .

ينبهنا المسدّي إلى أن الإشكالية المصطلحية أضحت إشكالية ثقافية و فكرية نتجت عن انعدام الوعي لدى المثقف العربي بخلفيات نشأة المصطلح النقدي و خصوصياته مؤكدا أن<< المعضلة ثقافية فكرية حضارية كأعظم ما تكون، وهي مقبض من مقابض أعراض النهضة العربية المنشودة تراها تتواتر في مجالات عديدة، وقد تطرد في أكثر الدوائر أهمية و في أعمقها خطورة >>[3].

إن الإشكالية المصطلحية في النقد العربي كانت نتيجة الانفجار النقدي في العالم الغربي وما عرفه من مناهج و اتجاهات معقدة، وبالتالي فعلى الناقد العربي أن يحيط بالمناخ الفكري والحضاري الذي انبثق منه المصطلح << ولَد الانفجار النقدي الحديث في أوربا و العالم، وبشكل خاص منذ الستينات وحتى الوقت الحاضر ، إشكاليات منهجية ومفهومية ومعرفية معقدة على مستوى تحديد المصطلح النقدي و ضبطه و إشاعته >>[4].

---

[1] عبد الغني بارة :إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،ط1 ،2005 ،ص281 .

[2] ينظر : محمد طبي : وضع المصطلحات ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، د ط ، 1992 ، ص38 .

[3] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، ص151 .

[4] فاضل ثامر : اللغة الثانية في إشكالية المنهج و النظرية و المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث ، المركزالثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب، ط1 ، 1994 ،ص184 .

إن الإشكاليات المنهجية عملت على الخلخلة في الثوابت النقدية ففي البداية كان الحديث عن الأدب ، ثم عن النص ، ثم التلقي ، فكل هذا التغير أدى إلى تغير في المصطلحات النقدية .

ينبه عبد السلام المسدّي إلى الوضع الجديد الذي عرفه النقد العربي و ما عرفه من تغيرات سريعة، وهو ما اصطلح على تسميته بانفجار النظرية النقدية <<إن الانتباه إلى ما نسميه بانفجار النظرية النقدية – تماما كالدعوة إلى إيقاظ ذلك الانتباه نفسه– قد يبدو فكرة بسيطة، أو مجرد تنويع المداخل إلى حضيرة السائد من القضايا ، وليس عجيبا أن يحمل على أنه زرع لرائجة تسويقية ، غير أن الأهمية الأبلغ و القيمة الأخطر هما في التسليم بما ينتج عن ذلك الانتباه بعد التسليم به في حد ذاته ، فليس من مثقف منسجم مع نفسه متوائم مع أمزجته متصالح مع رؤاه و قناعاته ، إلا و هو إذا أيقن بهذه اللوحة الجديدة أمسك عن إرسال الأحكام الجزاف على ما يكتبه النقاد المحدثون ، أو إن رمنا التحري و التدقيق قلنا إنه سيكف عن تقويم الإنتاج النقدي ما لم يستوف شرائط الثقافة التي احتكم إليها الناقد قبل تحبير خطابه النقدي>>[1].

إن الإشكالية المصطلحية حسب المسدي لم تعد مرتبطة بأسباب معرفية فقط بل تجاوزت ذاك نتيجة انفجار النظرية النقدية و هذا الوضع يتطلب وجوب التعاون بين الناقد و المتلقي ، فعلى المتلقي أن يعرف الخبايا المعرفية و الجذور الفلسفية التي يختزلها المصطلح الغربي و ظروف نشأته حتى يستطيع الحكم على ما يكتبه الناقد المحدث .

و أهم عامل لبروز الإشكالية المصطلحية في العالم العربي انفتاح النقد العربي على الحداثة الغربية ومع انتشار موجات المثاقفة ، و احتكاك العرب بالغرب ، انتقل الوضع بكل خصوصياته إلى العالم العربي، فهذا نوع من التأثير يجعل المصطلح يحمل الدلالة وفقا للوسط الذي تطور فيه << يمارس المصطلح دورا أساسيا و فاعلا في تكوين المعرفة ، وفي الوقت نفسه فإن حقل المعرفة الذي يتشكل فيه المصطلح يوجه مفهومه ، و يحدد دلالته ذلك أن المفهوم الذي ينطوي عليه شكل المصطلح يتعدد تبعا لتعدد حقول المعرفة من جهة ، و تبعا للأثر التاريخي الذي يتطور في ضوئه ذلك الحقل >> [2]. أما السبب المباشر الذي ساهم في بروز أزمة المصطلح في الساحة النقدية العربية يلخصها عبد السلام المسدي في ضعف تمكن الناقد العربي من آليات الترجمة << و في أمر المصطلح النقدي في خطابنا العربي على وجه أخص ، إنها تقع على تخوم المتموجة بين الثوابت النظرية في إشكاليات الترجمة عموما

[1] عبد السلام المسدي الأدب وخطاب النقد، ص11 .
[2] عبد الله إبراهيم: المطابقة و الاختلاف ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، لبنان ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص559 .

و المتحولات التطبيقية التي من مظاهرها آليات صياغة المصطلح و قوانين سريانية التداولي >> [1].

إن الترجمة من الأسباب التي أدت إلى تأزم إشكالية المصطلح في النقد العربي ، وما يَعُمُه من فوضى واضطراب في استعمال المصطلحات .

في موضع آخر يلقى المسدّي المسؤولية على المتلقي ، و يتهمه بتدهور مستواه يوما بعد يوم قائلا : << فقد شهدنا بعين اليقين أن خطابنا النقدي المزدوج قد أمعن في تأثيم المصطلح المترجم، وأنه قد تعين على الوعي النقدي المؤسس أن يستدعي الفريضة الغائبة وأن يتصدى لرفع الالتباس المعرفي الذي يغلف المسألة الاصطلاحية في مجال الترجمة النقدية حتى يتم الإعلان عن براءة المصطلح من حيث هو مصطلح، وأن يتم الوعي بأن التهمة . إن كان لزاما أن نؤثم من نؤثم . إنما تلقى على كاهل العلاقة المضطربة بين الفكر المتلقي و المضمون المفهومي الذي هو المتصور الثاوي وراء اللفظ الاصطلاحي >>[2]. هذا القول يوضح أن المسدّي اتخذ الموضوع من جانب واحد هو المتلقي و أهمل جوانب أخرى مثل الناقد والخطاب النقدي نفسه.

يبقى عبد السلام المسدّي مصرًا على إلقاء اللوم على عاتق الفرد العربي الذي يبدي احتراما واهتماما لمصطلحات الميادين العلمية و التقنية وما تحمله من هيبة و وقار. فالكل لا يجد صعوبة في فك شفراتها و فهمها لكنه ينتهك حرمة المصطلح بحقل المعرفة الإنسانية خصوصا مجال اللغة والأدب و النقد، إن هذا الوضع شجع إشكالية المصطلح على الانتشار خاصة في ميدان العلوم الإنسانية.[3]

كما أن الناقد العربي حسب المسدّي لا يجيد الصياغة المصطلحية لذا فهو فاشل نظريا وتطبيقيا هذا ما عده تناقض يتخبط فيه العالم العربي ، فهو يدعوا إلى المثاقفة من جهة و يشكك في قدرة اللغة على التوليد من جهة ثانية وهذا << من غريب ما يحصل في الواقع المعرفي الراهن، أن التناسب بين درجة تطور العلم و مرتبة الوعي بخلفياته الفكرية و الحضارية يظل تناسبا عكسيا ، إذ رغم تقدم المعرفة اللغوية في العصر الحديث و تبلور تجلياته الاختيارية يظل كثيرا من أهل العلم ومن ذوي الأمر يجادلون في أمر اللغة القومية و صلاحها للعلم ، مصرين على وهمهم القائل بأن للعلم لغته ، وهم في ذلك يتعللون باستعصاء سبك المصطلح و توليده تلقائيا >>[4]. إن هذا تطاول على اللغة العربية و نواميسها واتهامها بالقصور دليل على أن من اتهمها يتصف بالعجز و الخمول و بعيد كل البعد عن مقومات اللغة

[1] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، ص194 .
[2] عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد، ص195 .
[3] ينظر: المصدر نفسه ، ص154 .
[4] المصدر نفسه ، ص166 .

العربية.

زادت إشكالية المصطلح تأزما في الخطاب النقدي العربي المعاصر في ظل الصراع القائم بين الأصالة و المعاصرة و<< تتمثل في نقل المصطلح الأجنبي إلى الثقافة العربية ، دون مراعاة للدلالات التي اكتسبها في أرض النشأة ، و التشكل دون حساب ـ أيضا ـ لوضعه في البيئة التي يصار توظيفه فيها . هذه الإشكالية تزايدت بعد الاتصال اللامشروط بين الثقافتين العربية و الغربية ، حيث أقبل الناقد العربي على المعرفة الغربية دون تقدير أو حساب لما سيترتب من نتائج ، فكان أن وقع الاضطراب و الخلط و الغموض>>[1].

إن رفع شعار المعاصرة جعل الناقد العربي يستخدم مصطلحات تحمل في طياتها دلالات لا يمكنها أن تصلح إلا في بيئتها ، و بالتالي فهي توقع في الغموض و الاضطراب ، لأن هذا الغموض لم يحدث في المصطلحات العربية الأصيلة و بالتالي يجب الرجوع إلى التراث عند استيراد المصطلحات الغربية.

إن المرجعيات التي أدت إلى أزمة المصطلح هي من نتاج الحداثة الغربية و التباين الموجود على أرضها ، و كذلك اختلاف المرجعية الثقافية بين المجتمع الغربي الذي أنتج المصطلح النقدي المعاصر و المجتمع العربي الذي استورده و يحاول جاهدا استيعابه و إسقاطه على أرضه ، كذلك نجد قصور في المجامع العربية و مكاتب التنسيق و التعريب التي لم تقم بدور فعال في حل هذه الإشكالية التي طالما أرقت كاهل النقد العربي من نقاد و متلقين ، إضافة إلى عدم وجود مختصين في الترجمة في العالم العربي مما أدي إلى الوقوع في فوضي الغموض و الاضطراب .

3 – الحد من إشكالية المصطلح النقدي :

إن الوضع المزرى الذي يتخبط فيه النقد العربي المعاصر جعل المسدّي يعطي مجموعة من الاقتراحات و الحلول لحل هذه المعضلة أو للحد من تفاقمها و يمكن تلخيصها فيما يلي :

توفير الوعي الاصطلاحي و هي مهمة "استثناء " كما سماها المسدّي ، يعني بها الاجتهاد في سبيل أن يوجد هذا الوعي و الارتقاء به إلى إدراك المعرفة بعيدا عن سلطة المجاز ، و كذا الانزلاقات الذهنية التي تحرف العلم و تبعده عن مقاصده ، كذلك الوعي بالخلفيات الفلسفية و الفكرية للمصطلحات التي كانت سبب أزمة المصطلح فيشترط في الناقد أثناء وضع المصطلح معرفة هذه الخلفيات و كذلك المتلقي عليه أن يكون على علم بهذه الجذور أثناء استقباله لها[2].

[1] عبد السلام المسدّي الأدب وخطاب النقد ، ص195 .
[2] ينظر: المصدر نفسه، ص140 .

ضرورة الاعتراف بعلم المصطلح علما قائما بذاته و الاعتراف بالعلم يعني التسليم له بكل صلاحياته المعرفية و هذا الاعتراف غير كاف ما لم يدرك الباحث الحدود الضيقة التي تتقاطع عندها معارف عدة من المعرفة اللغوية << في علم الأصوات و علم الصيغ و علم التركيب و علم الدلالة ، ثم في اللغويات المقارنة و اللغويات التقابلية ، و كذلك في المعجمية و علم التأثيل ، فضلا عن طبائع اللغات و فصائل الألسنة الطبيعية >>[1].

إنه على الناقد في العالم العربي احترام خصوصية علم المصطلح و أن يكون البحث في المصطلحات مُوكَلا إلى صاحب الاختصاص، و أن يكون مُوكَلا إلى المختصين في الحقل العلمي، و إلى اللغوي الذي له خبرة بشؤون اللغة. فاليوم لا يكفي الباحث أن يكون مختصا في علم محدود و إنما عليه أن يكون متشربا بمختلف العلوم المعرفية التي تساعده على حل أزمة إشكالية المصطلح خاصة و أن << المصطلح النقدي الجديد يستمد القدر الأعظم من دلالته من تلك الخلفية الأساسية من تراث الفكر و الفلسفة إنه يؤسس شرعيته على معرفة المتلقي لهذا التراث الفكري >>[2] إن معرفة المتلقي لدلالة المصطلح متعلقة بمعرفة الخلفية و الأرضية التي انبثق منها المصطلح .

يؤكد عبد السلام المسدّي أن الانضباط في استعمال اللغة يُقرِب من صحة المصطلح في كل علم و في كل معرفة ، و يعمل على الارتقاء العلمي و يكون ذلك نتيجة التسليم بالناتج الطبيعي للمعرفة العلمية و معرفة حيثيات صياغة المصطلح ، وأن مفتاح المعضلة الاصطلاحية هو التسليم مطلقا بعرفية الجهاز اللغوي، و هذا يعني اعتباطية الحدث اللغوي ذاته[3].

كما ينادي المسدّي بضرورة التسلح بالثقافة اللسانية << إن الاستئناس بقوانين انبناء الألفاظ من وجهة علم اللسانيات هو الذي يقي الخطاب من التعسف التداولي ، فدراسة المصطلح النقدي في أعمق مكوناته التركيبية و الدلالية هي التي تساعد على تبيين الثغرات التي قد تتخلل جهازنا الفكري فتشكل مواطن اهتزاز تتسرب غلى قاعدة الهرم المعرفي >>[4].

وهذا بديل آخر للحد من إشكالية المصطلح النقدي الناتجة عن الصراع القائم بين أنصار التراث و الحداثة حتى يقرب بين الفريقين ذلك أن << الدراسة المصطلحية يمكن أن تتجه صوب هدفين متوازيين : أن تتجه إلى أنصار النقد المأثور حتى لا نقول أنصار النقد التقليدي – من المعترضين على

[1] عبد السلام المسدي : لأدب وخطاب النقد ، ص144 .
[2] عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 1997 ، ص36 .
[3] ينظر : عبد السلام المسدي ، الأدب و خطاب النقد ، ص144 - ص158 .
[4] المصدر نفسه ، ص161 .

حركة التجديد المنهجي لتزيل جواهر اللبس القائمة بينهم و بين لغة النقاد المجددين فيتبينوا ما هو راجع- من مآخذهم على الحركة المستحدثة إلى بنية المضامين مما هو راجع إلى منظومة المصطلحات التي توالدت و تكاثرت بما يشبه الطفرة العاتية ، وأن تتجه إلى رواد التجديد من النقاد ليتيسر عليهم الاستئناس بقوانين انبناء الألفاظ حتى لا يتعسفوا أمرهم عندما يكتبون>>[1]. فهنا المسدّي يحاول القضاء على الصراع القائم بين أنصار التراث و أنصار الحداثة حول إشكالية المصطلح ذلك ما يسمح بتطويع الدراسة المصطلحية ، و يكون فك هذا الصراع من مسؤولية المجامع اللغوية، والنوادي بحضور ممثلي الطرفين .

إن معالجة الأزمة الاصطلاحية من منطلق الحدود التي رسمها عبد السلام المسدّي في كتابه الأدب و خطاب النقد هي تبسيط النقد و تيسير اللغة بإقامة نهضة فكرية <<نؤسسها على انضباط أدائي أول مفاتيحه الإقرار بحرمة المصطلح كي نضمن له فاعليته في تمثيل المعرفة و في إيصال المعرفة ، ثم في إعادة إنتاج المعرفة حتى نصل إلى منزلة ابتكار المعرفة بالإضافة و الوضع و الاستحداث >>[2].

إن البديل عند عبد السلام المسدّي الاعتراف بحرمة المصطلح كعلم قائم بذاته يحفظ كيانه و يصون لغة النقد من فوضى التلاعبات تحت شعار التبسيط . كما يطالب المسدّي المهتمين بالأدب و النقد بضرورة توفير الوعي الاصطلاحي أو ما سماه مهمة " استئناء" من أجل الارتقاء و احترام خصوصية المصطلح، و معرفة الخلفيات التي نشأ فيها المصطلح من طرف الناقد و المتلقي حتى تتقلص الهوة بين الطرفين ، كذلك ينادي عبد السلام المسدّي بضرورة الإلمام باللسانيات لأنه من وجهة نظره أن اللسانيات تحمي الخطاب من التعسف التداولي .

هذه أهم البدائل التي قدمها عبد السلام المسدّي قصد الحد من أزمة المصطلح في الأدب و النقد العربي و محاولة الالتحاق بالدراسات النقدية الحديثة في العالم الغربي لأن الحد من الإشكالية الاصطلاحية يعني الارتقاء بالنقد باعتبار أن المصطلح هو روح العلم بشكل عام و النقد بشكل خاص.

[1] عبد السلام المسدي : المصطلح النقدي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع ، تونس ، د ط ، 2004 ، ص8 .
[2] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، ص195 .

ثالثا : إشكالية الغموض النقدي :

يثير مصطلح الغموض إشكالية جدلية في النقد الأدبي الحديث و المعاصر ، خاصة و أن هذه الإشكالية رافقت مرحلة التحديث النقدي في العالم العربي المعاصر ، هي قضية تناولها الكثير من النقاد من بينهم عبد السلام المسدّي الذي أعطى هذا الموضوع مساحة كبيرة من كتابه "الأدب و خطاب النقد " محاولا الإجابة عن عدة تساؤلات أرقته حول هذه الإشكالية أي إشكالية الغموض منها مرجعيات هذه الإشكالية و أسبابها ، وكيف انطلقت هذه الإشكالية ، و غيرها من الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع محاولا في الأخير اقتراح بدائل لفك الغموض و اللبس عن الخطاب النقدي.

1- مفهوم إشكالية الغموض و مرجعياتها :

لقد أشارت المعاجم العربية إلى الغموض من خلال استخداماته اللغوية المختلفة ، فيقول صاحب لسان العرب << و مُغْمَضَاتُ الليل دياجير ظُلْمِه ، وغَمُضَ يَغْمُضُ غُمُوضًا و فيه غُمُوضْ ... و الغامض من الكلام خلاف الواضح ... و الغامض في الرجال الفاتر عن الحملة ... و يقال للرجال الجيد الرأي قد أغمض النظر و دقه ، و دار غامضه إذ لم تكن شارع ... و حسب نما غير مشهور ... >>[1] فالغموض في هذه المسألة يحمل في طياته النظر و الدقة.

و يعتبر الغموض غموضان : غموض في العمل الأدبي و غموض في النقد فالغموض في العمل الأدبي عنصر يمثل أهمية كبيرة و لا غنى عنه فيه ، فوصول العمل الأدبي إلى المتلقي صعب في كل مراحله و هذا ما قاله رينيه ويليك << إن العمل الأدبي الفني ليس موضوعا بسيطا ، بل هو معقد بدرجة عالية و ذو سمة متراكبة مع تعدد في المعاني و العلاقات >>[2]. .فالغموض في العمل الأدبي يكون في معانيه و تراكيبه . أما الغموض في النقد المعاصر فيرجع فيه الفضل إلى الناقد و الشاعر الإنجلـــيزي " وليام أمبسون " في كتابه المعروف " سبعة أنماط من الغموض " حيث عرف الغموض بأنه << كل ما يسمح لعدد من ردود الفعل الاختيارية إزاء قطعة لغوية واحدة >>[3]. و هذا يعني أن أمبسون يقصد بالغموض كل ما دار حوله الجدل و اختلف حوله النقاد و تباينت آرائهم .

تطرق عبد العزيز حمودة إلى إشكالية الغموض مقسما الغموض إلى نوعين غموض مقصود و غموض غير مقصود و<< الغموض غير المقصود من النوع الذي لا يغتفر ، فمن ناحية النتيجة فإنه

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، ج7 ، مادة غ م ض ، ص200 .

[2] أوستين وارين ، رينه ويليك : نظرية الأدب ، تر: محي الدين صبحي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية ، د ط ، 1972 ، ص92 .

[3] Empsonw : seventype of ، نقلا عن حلمي خليل : العربية و الغموض ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ط1 ، 2001 ، ص106 . amblguty . 1930 . p 19

يؤدي إلى تشويه الأفكار و المفاهيم الأصلية ، أما أسبابه فهي الأخرى لا تغتفر لأنها تنشأ إما عن سوء فهم النص الحداثي ، و إما عن سوء نقله إلى العربية و في معظم الأحيان عن الاثنين معا >> [1]. و في هذا الموقف يرجع عبد العزيز حمودة الغموض في الخطاب النقدي إلى الحداثة النقدية و ما تحتويه من مرجعيات فلسفية بالغة التعقيد و فشل الناقد العربي في التعامل مع هذه الحداثة .

من جهته عبد السلام المسدّي يوضح موقفه من الموضوع من خلال التفريق بين مصطلحي الغموض و الاستعصاء يقول : <<إن الغامض غامض بذاته و المستعصى مستعصى بغيره ، فالغموض أمر محايث قد نشأ مع الشيء الحامل له نشوءا قاهرا ، و الاستعصاء أمر مفارق قد يحل في الشيء و قد لا يحل فيه لأنه متعلق بالرابطة المعقودة بينه وبين من يتلقاه فيحكم عليه بالجلاء إن فكت له أسراره أو يحكم عليه بالغموض إن غابت عن المتلقي مفاتيحه >>[2]. إن الغموض النقدي هو حكم نرسله على الخطاب النقدي و الاستعصاء يرتبط بالمتلقي و مدى تحكمه في شفرات قراءة الخطاب النقدي فإن تمكن من فك طلاسمه حكم عليه بالجلاء و إن فشل في ذلك حكم عليه بالغموض .

و يلخص عبد السلام المسدّي مرجعيات إشكالية الغموض النقدي في تلك العلاقة المضطربة التي تجمع بين مستويات الخطاب النقدي و مراتب القراءة الفكرية و يؤكد المسدّي أن<< الاستعصاء ليس في الأدب و النقد بقدر ما هو في العلوم التي أنجدت النقد بالتمويهات الفكرية الجديدة ، ثم أنه استعصاء ثقافي و ليس استعصاء معرفيا ، نعني أنه متولد من القرابة الحاصلة بين الجمهور المعني بالأدب و هذه العلوم و لو أن المناخ الفكري أتاح للناس ما يلزم من قواعدها لخفت حدة الاغتراب المعرفي >> [3].و بهذا يمضي المسدّي على التمسك بموقفه الذي أكده في مواقع عديدة و أسقط بذلك دعاوى الخطاب المضاد الذي يبرر النقد ذاته ، و يلقي التهمة على القارئ كونه لا يحسن الإحاطة بالعلوم المغذية لمجاري النقد.

في هذا السياق و من وجهة نظر أخرى ترجع إشكالية الغموض إلى فشل النقاد أيضا في استغلال خبرات العلوم الأخرى أثناء ممارستهم النقدية و بذلك << أصبح القارئ بل حتى الناقد المتخصص يشتكي من فوضى التفسير. يتساءل عن سبب الإلغاز الذي يخيم خطاب نقد الحداثة...السيميولوجية والأسلوبية >>[4].و يعني هذا أنه إضافة إلى فشل القارئ في تفسير الخطاب النقدي أثناء تلقيه و ذلك لضعف مستواه، يرجع غموض الخطاب النقدي إلى عجز الناقد نفسه أثناء ممارسته النقدية.

---

[1] عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة علم المعرفة ، الكويت ،د ط ، 2001 ،ص106 .
[2] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص221 - ص222 .
[3] المصدر نفسه ، ص271 .
[4] عبد الغني بارة : إشكالية تأصيل الحداثة ، ص7 .

يعطي المسدّي بعدا آخر لإشكالية الغموض ذلك أن << المسألة متعلقة بالتواصل الثقافي أكثر مما هي متعلقة بمضمون المعرفة في حد ذاته ، ولا بطبيعة المنهج في حدود خصائصها ،هي إذن عقدة سوسيو ثقافية و ليست أزمة محايثة لحركة التجديد النقدي >> [1] و هذا يعني أن الغموض ليس في التجديد النقدي و إنما يرجع إلى تخلي الناقد عن وظيفته في تحويل الغامض من الأدب إلى شيء مستساغ لدي القارئ والأخذ بيده ليسير له ركوب المطايا .

هذه العقدة السوسيو ثقافية مرتبطة بقناعة ثابتة في ذهن المجتمع العربي مفادها أنه بحاجة إلى نقد فاعل في جلاء غموض آت و قادر على تثقيف القارئ و جره إلى عمق التذوق الفني و التجول به في مواطن أسرار الجمال و إرهاف ذوقه و حسه الجماليين ، ذلك ما يؤدي حسبه إلى مد جسور التواصل بين المتلقي و الشاعر مما يقلص العزلة القائمة بينهما [2] .

في الأخير يمكن القول أن إشكالية الغموض النقدي ترجع إلى تعقيد في العلوم المصاحبة للنقد و المغذية لمجاريه ، و هذا ما دفع المسدّي إلى التأكيد على ضرورة التسليم بضعف مستوى المتلقي العربي و فشله في الإحاطة المعرفية بمنابع النقد من فلسفة ولسانيات ، كذلك ترجع الإشكالية إلى أخطاء علمية مثلها نقاد متطفلون على المعرفة النقدية ، و بهذا يكشف المسدّي الستار عن جوهر الإشكالية ليلخصها في أزمة سوسيو ثقافية مبعثها خلل في التواصل الثقافي في أوساط الوطن العربي .

2-الخطاب المضاد و خصائصه:

ينطلق المسدّي في كشفه عن بدايات الخطاب المضاد مسلما بأن هذا مجرد شأن عربي خالص. فعند الآخرين قد يتواتر التظلم من النظرية النقدية المحددة و لكن لا يعمم التظلم على كل النظريات المصاحبة لها ، ففي الثقافات الإنسانية الكبرى تقوم مساجلات المهتمين بالأدب و النقد بين معسكرين ، معسكر مع التجديد و ينادي بشرعيته و معسكر المحافظين الذين يطعنون في التجديد النقدي ، إن منطلقات الخطاب المضاد تتغلغل جذورها على مر الزمن << لقد استوت لحظات التظلم استراتيجية صقلتها الأيام، و تعاونت عليها المقاصد و الأقلام ، و تنادي بها الأنفار حتى استدرجوا إليها جميعا لم يكن في نواياهم أن ينخرطوا في أدبيات الطعن و الإدانة و التشهير >>[3]. البدايات الأولى للخطاب المضاد كانت من طرف نقاد معظمهم سبق لهم أن نافحوا الجدة النقدية و بالتالي لم يكن غرضهم هو التشهير.

---

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص .

[2] ينظر : عبد المجيد زراقطة : الحداثة في النقد الأدبي المعاصر ، دار الحرف العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1991 ،ص59.

[3] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص181 .

في معالجة هذه الإشكالية يعمل المسدّي على الموازنة بين الثقافة العربية و الثقافات الأخرى لأن إشكالية الغموض النقدي دخلت الاحتفاء الثقافي، و هذه حالة استثنائية لا توجد إلا في الوسط العربي << ثم انتقلنا من إنتاج تلك الأدبيات و هذه حالة استثنائية تم ترويض الوعي الجمعي لها >>[1]. يبقى المسدّي مصرا على زيف الخطاب المضاد و يرجع ذلك إلى افتقار الفرد العربي إلى بعد معرفي يؤهله إلى فك طلاسم الخطاب النقدي .

و لعل المتمعن في مرجعيات هذا الوضع يجد أنه مرتبط بعدم استيعاب الفرد العربي و خاصة الناقد العربي لما جاءت به الحداثة الغربية أو مفهوم الحداثة ذاته << الحداثة هي أن يصبح النقد إبداعا آخر ، لكن هل يصل الإبداع إلى حد من الغموض ، يجعل النص معضلة مغلقة ، قراءته كدًا ذهنيًا رياضيًا ينتهي إلى الخيبة >>[2] فسوء فهم الحداثة و معناها و ما تحمله من خلفيات فلسفية جعل الفرد العربي يشكوا الغموض .

إن الفرد العربي من ناقد و متلق لا يفرق بين ثنائية الواقع و المنشود، و بين حداثة منشودة و حداثة واقعة << إن جانبا من الخلاف حول تحديد مفهوم الحداثة العربية المعاصرة يعود إلى عدم التمييز بين الواقع و المثال بين الحقيقة و المنشودة بين ما يرد و ما هو موجود >> [3].هذا ما يؤكد قول المسدّي بأن الغموض النقدي ليس في الحداثة و ما أفرزته من مناهج ومصطلحات بل أن المشكلة سوسيو ثقافية ، وافتقار الناقد العربي إلى التفاعل مع الخلفيات الفكرية التي أنجبت الحداثة الغربية و العجز عن تكيف إفرازات تلك الحداثة مع خصوصيات الحضارة العربية و<<إن الفرق بين الباحث في حقل الدراسات الأدبية في ثقافة المشرق العربي و بين نظيره في ثقافة الغرب، فرق في طريقة تناول الموضوع و في طريقة التفكير، فالثقافة الأولى يكتفي فيها الباحث في أغلب الأحيان بعرض المعلومات و طريقة تفكيره لا تميل إلى الطريقة الموضوعية باعتبار أن التفكير العلمي يحتل مساحة محددة في عناصر بنائها المختلفة في حين أن التفكير يحتل في الثقافة الثانية مساحة واسعة و أساسية >>[4].

ينفي المسدّي بأن إشكالية المصطلح هي السبب الرئيسي لغموض الخطاب النقدي كما يدعي البعض وأن استغلاق الخطاب النقدي و تظلمه يرجع إلى تعسر المصطلح ، وراح يؤكد موقفه بقوله : << لقد أوقفنا الاستقراء البحثي على حقيقة ناصعة هي براءة المصطلح من حيث هو حامل بمفهوم ليس واردا على

---

[1] عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد، ص103 .
[2] إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة رغاية ، د ط ، 2007 ، ص401 .
[3] جمال شحيد ، وليد قصاب : خطاب الحداثة في الأدب (الأصول و المرجعية)، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2005 ، ص115 .
[4] سمير سعيد حجازي : مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية و التطبيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2007 ، ص23 .

قائمة المفاهيم التي يتداولها المرء لذلك يشتكي من الغموض محملا المصطلح المسؤولية و الحال أن المصطلح بريء لأن الإشكال قائم في صلة الإنسان بالمفهوم من حيث هو مفهوم . و أوقفنا الاستطلاع في الآن على الانزلاق الذي حصل و الذي تحوّل بسببه المشكل من دائر المعرفة النقدية إلى الدائرة الثقافية التواصلية >>[1]. وصف عبد السلام المسدّي إشكالية الغموض بأنها زائفة و أن المصطلح فقط أُتخذ مطية سهلة للتهجم على النقاد و التشهير بهم و إنما الأزمة هي أزمة سوسيو ثقافية يهيمن فيها التشهير و خطف الأضواء .

يعمل المسدّي على كشف الخطاب المضاد مستشهدا بعدد من الأسماء التي جعلت من النقد مطية لغايات أخرى غير الأهداف التي يهدف إليها ، ومن بين الأسماء " محمود ربيعي " الذي اعتبره عبد السلام المسدّي البذرة الأولى من بذور الخطاب المضاد هذا الأخير الذي فزع من مصطلحات ما قبيل التداول و الزمنية ، و العبارة و المقطوعة . يفسر عبد السلام المسدّي هذا الاهتزاز الإيبستيمي إلى امتزاج الذات مع الموضوع ، مبديا تعجبه من فزع هذا الكاتب من هذه المصطلحات و هو الذي استطاع أن يتحدث عن المناهج النقدية << ثم كيف يحصل أن الدكتور" محمد ربيعي " قد استطاع أن يكتب علما خالصا عن البنيوية و التفكيكية حينما انتدبته مجلة عالم الفكر >>[2]. و يفسر المسدّي هذا بطغيان مؤسسة الأنا و مؤسسة الذات الفردية لا مؤسسة المعرفة التي هي الوصي على الذات الجماعية .

اسم آخر من الأسماء التي تسلل الزيف إلى منظومته" محمد حماسة عبد الطيف " صاحب كتاب " اللغة و بناء الشعر " الذي أشاد به عبد السلام المسدّي ، محمد حماسة الذي تحكم في المناهج و المصطلحات ، إن الطريقة التي يعالج بها الباحث توضح أنه من رواد التجديد ، هو الذي يقول أن تحليل النص عن طريق أشياء خارجة عن النص أصبحت مهجورة و ينادي بدراسة النص لذاته . هو الذي مارس الجدة النقدية في أبها حلتها ، عانق المصطلحات النقدية مثل البنية السطحية و البنية العميقة رغم صعوبتها . لكن ما الذي يحدث لهذا الناقد يقول عبد السلام المسدّي :<< و تأتيك المفاجأة ، و يباغتك الخطاب المناصر بفقاقيع الخطاب المضاد الممعن في الضدية ، يفاجئك و يباغتك في اللحظة التي أنت فيها على ألف ميل من توقعه ، و ألف شهر من ترقبه >>[3] .

إن نبل المقاصد سرعان ما يسقط خطاب العلم ليحل محله خطاب الذات و إلا كيف نفسر قول محمد حماسة << وإن كان بعض الباحثين الآن ممن يدعون الاهتمام بالأسلوبية يعكرون الماء على القراء

---

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب وخطاب النقد ، ص193 .
[2] المصدر نفسه ، ص231 .
[3] المصدر نفسه ، ص236 .

باستعمالاتهم عبارات غامضة و إحصاءات صماء ، و رسوما و أشكالا مصمتة ، و مصطلحات مبهمة غائمة أقلها التناص و التمحور و التمفصل و التركح ،وهي ترجمات عاجزة تزهدَ القارئ فيما يكتبون>>[1]. يتعجب المسدّي من هذه الصيغ و كيف أصبح التناص أكثر غموضا من البنية السطحية و البنية العميقة الذين اتخذهما محمد حماسة عنوان مبحث في كتابه رغم صعوبتهما على غير المختصين بالمعرفة اللسانية ، كيف يشتكي الباحث من الأسهم و الخطوط التي اتخذها ذريعة للتهجم و هو نفسه يستعملها . كل هذا جعل المسدّي يؤمن و يصر بزيف شكوي الغموض ،فمعظم أنصارها متعارضين مع أنفسهم بدعوى الدفاع عن المتلقي في فهم ما يكتب .

أسماء أخرى أقحمت نفسها في هذه الإشكالية و لا باع لهم في النقد سوى خلخلة ثوابته و زيادة اضطرابه و التهجم على أعلامه بدعوى غموض الخطاب النقدي هذا حسب المسدّي برهان آخر لتأكيد رؤيته و الدفاع عنها .من بين الأسماء الباحث يوسف بكّار هذا الأخير الذي أنصفه المسدّي و أثني على توجهه التجديدي منذ صدور رسالته " بناء القصيدة العربية " بعد مدة يعيد إعادة نشره بعنوان " بناء القصيدة في النقد العربي في ضوء النقد الحديث " هذا حسب المسدّي مكر و انخراط في مطايا خطاب التشهير.

نزار قباني نموذج آخر لا يختلف كثيرا عن يوسف بكار إذ هو الآخر بدوره اقتحم خطاب التشهير متخذا قضية أطفال الحجارة ذريعة له فإما أن تعلن معه الغموض و هذا يعني الابتعاد عن الحداثة و نكرانها و إلا فأنت خصم أطفال الحجارة و عدو القضية الفلسطينية [2].

إن هذا المكر يكشف عن خطورة الوضع الذي يعيش فيه النقد العربي المعاصر الذي فقد حرمته و أصبحت إشكالياته و قضاياه يخوض فيها من لا صلة له بها و قد حذر المسدّي من هذا الوضع قائلا : << فإياك أن تدعي لنفسك حقا آليا للانخراط في أدوات العلم الذي موضعه موضوع تلك المعرفة : إن كنت روائيا فأحذر أن تنطلق بأستاذية في موضوع السرد و الحبك و تركيب الأدوار ، فأنت الصانع لكل ذلك و إن كنت شاعرا فلا تشغل فتيل المعارك التي مدارها النقد الخالص ، و التنظير الخالص ، والرؤى المنهجية بين ابتداع واتباع >>[3].

و يعزز عبد السلام المسدّي من البراهين و الدلائل التي يؤكد و يدافع بها عن رؤيته و إثبات زيف الخطاب المضاد، يستشهد بأسماء أخرى، و لكن هذه المرة أسماء لم تهزهم ريح التشهير ولم ينخرطوا في خطاب الذات بل كان هدفهم هو النهوض بالعلم و النقد العربي خاصة. نذكر منهم الدكتور عبد القادر القط

[1] عبد السلام المسدي : الأدب وخطاب النقد ، ص238 .
[2] المصدر نفسه ، ص212 .
[3] المصدر نفسه ، ص211 .

الذي قال عنه المسدّي أنه كان يؤسس ضربا من الخطاب المضاد داخل مواقع الفكر التحديثي يحاول أن يجنب المناهج الجديدة ظاهرة الغموض << كأنما نذر نفسه على مدى السنوات لتأسيس عمل تصحيحي ينشد به غربلة الخطاب النقدي الحديث مما علق به من سوء تداول المصطلح . وليس مفهوم الريادة هنا على التعميم، و إنما هو بدلالة الخصوص، نعني على وجه التدقيق أن صاحبه كان يرفض الانخراط في تهمة الغموض التي يقذف بها القاذفون حركة التجديد النقدي و هم واقعون خارج دائرته >>[1]. هذا يدعم رأي عبد السلام المسدّي في دعوته إلى تصحيح الخطاب النقدي بعيدا عن منابر الثقافة و أجهزة الإعلام و التي هي في خدمة دواعي التشهير و التهجم على النقاد.

من خلال هذه النماذج التي أوردها المسدّي يبدوا أن موقفه لا يقوم على رفض إشكالية الغموض و معالجتها ، وإنما رفضه المنطلقات الزائفة التي انطلق منها الخطاب المضاد ،لأنه يفتقد لمبدأ النقد البناء الذي غرضه تطوير النقد العربي المعاصر و يتجه صوب أهداف تشهيرية دنيئة غرضها إعاقة مسار النقد العربي المعاصر و زيادة تعميق جروحه.

3- الحد من إشكالية الغموض النقدي :

إن الاستراتيجية التي يدعو إليها المسدّي كبديل لمعالجة إشكالية الغموض هي أنه ما يتعين على الناقد العربي فعله للخروج من دوامة الغموض ، يتوجب عليه أولا الإقرار بمرجعية الإشكالية << فلا بد من باب الإنصاف الفكري أن نقر بأن جفوة قد حصلت بين الخطاب النقدي المجدد و شرائح عديدة من القراء و المستهلكين للمادة المكتوبة ، و لئن كانت هذه الجفوة منبعثة من طبيعة العلاقة القائمة بين مستويات الخطاب النقدي و سلم المراتب الفكرية التي يصدر عنها جموع القراء ، فإن المسألة التواصلية تستوجب وقوفا فاحصا ، وإلا استحالت معضلة ثقافية مهددة ، ولقد تصدي لهذه المهمة أعلام خلص صدروا عن وعي تاريخي عميق أسبغه عليهم تجربتهم العريقة في البحث اللغوي و في النضال الفكري ، فحاولوا الوقوف عن مسافة ما حيال التجديد المنهجي دون عدائية ، و إن جاء تقويمهم على جانب من القسوة المعيارية أحيانا ، لأنهم أثروا الحكم على الكل من خلال العدد الغالب فزهدوا في معيار الكيف الذي كثيرا ما يقلب موازين الغلبة العددية >> [2]، و في نفس السياق وهو الإقرار بمرجعية الإشكالية و توضيح مسبباتها لخص المسدّي أسباب وقوع الخطأ في الساحة النقدية فيما يلي :

-أن يكتب في المعرفة من ليس من أهلها مع اتهام الآخرين بأنه فرد منها إما بالإيعاز الصريح بالسكوت عن

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب وخطاب النقد ، ص191 .
[2] المصدر نفسه ، ص223 .

أنه ليس من أهلها .

–أن يكتب في المعرفة بعض أهلها مع السماح لأنفسهم بالتسامح في الصياغة و التجاوز في الضبط و المجاراة في الدلالة مما يؤدي إلى تشويه العلم رغم نبل المقاصد [1] .

إن توضيح المسدّي لمرجعيات الغموض في النقد الأدبي هو جزء من مشروع خلخلة الخطاب المضاد و هز أعمدته من خلال استراتيجية محكمة تهدف إلى تكوين وعي معرفي بأصول الأزمة و مرجعياتها يسمح بإزالة الالتباس المحيط بها لدى القارئ العربي ، و هذا من شأنه أن يبقي إشكالية الغموض داخل أسيجة النقد و يعزلها عن العالم الخارجي لأن ذلك يؤدي إلى تعقيدها بدخول فئات أخرى في خلية الصراع لا همَّ لها سوى التجريح و التفنن في إغواء القارئ بأعذار واهية .

و أهم ما تنبه إليه المسدي كبديل لمعالجة هذه القضية هو تعرية الخطاب المضاد و فضحه بتوضيح أسباب التباس وظيفة الناقد في المجتمع و هو متعلق بنوعين من الأسباب :

الأول مرتبط بالمواقع المعرفية و فيه يتم الاستسلام إلى تصورات عامة بشأن وظيفة الناقد مما يوقع في خطأ المطابقة بين عدة وظائف مثل: ناقد النص ، مؤرخ الأدب ،عالم اللغة ، ناقد مقارن ، مؤرخ النقد [2]. الثاني و يتعلق بالموقع التواصلي و ذلك بأن لا يأخذ الناقد بعين الاعتبار مستويات تلقي الخطاب (قارئ مستهلك ، قارئ أديب ، قارئ ناقد) أثناء صياغة خطابه[3].

و في خضم هذا الوضع يعطي عبد السلام المسدّي البديل في معالجة إشكالية الغموض << و يعالج الشأن الثقافي بالخطاب العلمي المطلق بقدر ما يعالج من خلال استراتيجية محكمة هدفها الأول سحب البساط من تحت أرجل الآلة الثقافية المنتجة للخطاب التشهيري الناسف و هدفها الأخر تفكيك أدوات الخطاب الصانع لمنظومة الاعتراض، بذلك تتحقق غاية مزدوجة هي في الآن نفسه علمية و ثقافية. تفادي إضفاء أي مشروعية فكرية على كل الذرائع المقدمة من معسكر الناقضين لفكرة الارتقاء المعرفي في مجال النقد الأدبي، و من باب أولى و أحرى تفادي تقديم المبررات الوجيهة التي تحوِّل الذرائع إلى حجج استدلالية >>[4]. إن هذه الاستراتيجية تهدف إلى قطع الطريق أمام كل من أراد أن يتخذ من إشكالية الغموض النقدي ذريعة لإنشاء خطاب مضاد بغرض التشهير و لفت الأضواء ، بعيدا عن النقد البناء الذي هدفه هو الارتقاء بالنقد العربي المعاصر .

---

[1] ينظر:عبد السلام المسدّي : الأدب وخطاب النقد ، ص274 .
[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص ص32 - 35 .
[3] ينظر: المصدر نفسه ، ص ص36 -39 .
[4] المصدر نفسه ، ص272 .

إن البديل الآخر الذي يقترحه المسدّي للقضاء على الالتباسات المصاحبة لإشكالية الغموض هو ضرورة تسليح القارئ العربي بمعايير دقيقة تمكنه من التمييز بين الأخطاء التي تتسلل إلى الساحة النقدية و التي تصنف إلى نوعين :

أ –أخطاء علمية و يصح أن نطلق عليها اسم انحرافات علمية و ترتبط أساسا بمضمون المعرفة الخاصة بعلم ما .

ب–أخطاء ثقافية تترعرع في الحيثيات الخاصة بمضامين العلم و تخومه المجاورة، وتستند بوجه خاص إلى طبيعة القنوات التواصلية التي يسري فيها الخطاب النقدي بين أطرافه الثلاث(أدباء، نقاد، قراء الأدب و النقد) .[1] وهذا التقسيم حسب المسدّي يرمي إلى إبرام الحدود الفارقة بين الخطأ الثقافي و الخطأ العلمي و المتمثلة أساسا في إن كل خطأ علمي هو بالضرورة خطأ ثقافي، و كل خطأ ثقافي ليس بالضرورة خطأ علمي.

فالخطأ الثقافي أعظم خطرا على مسار تطور العلوم في المجتمع من الخطأ العلمي لأن هذا الأخير لا تتعدى معالجته نطاق مخابر و حلقات النقاش الأكاديمي ، أما الخطأ الثقافي فسيتحول عبر وسائل الإعلام و أجهزة التواصل ليصل مداه إلى شرائح فكرية مختلفة ، هذا ما يخلق اهتزازات جوهرية على مستوى منظومة المؤسسة الثقافية فيؤدي بذلك إلى إرباك العلم و العلماء ، بينما يكتفي الخطأ العلمي بإرباك العلم. هذا ما يبرر مرافعة مصحح الخطأ العلمي باسم العلم ، بينما يرافع مصحح الخطأ الثقافي عن العلم باسم متعاطيه ، كما يرافع أيضا عن المتعاطين له باسم العلم هذا ما يوقعه تحت سلطة التأويل[2]. من خلال هذه الفروقات يخلص المسدّي إلى أن الخطأ العلمي يتلخص في سؤال ماذا نقول ؟ و أما مساحته في مزرعة الأخطاء فلا تتجاوز حدود الثلث أما الخطأ الثقافي فيسيره سؤالان آخران هما: كيف نقول ما نقول ؟ و لمن نقول الذي نقوله ؟ و تكون بذلك مساحته ضعف مساحة الأول.

ومحصلة القول أن إشكالية الغموض النقدي من القضايا المعقدة التي لا يمكن فصلها عن عوارض إشكالية الأنا و الآخر التي أضحي في ظلها النقد العربي مشتتا بين مرجعيات متعددة و متناقضة، و المسدّي يقف عند محطات هذه الإشكالية ، في مواطن نشأتها، و مرجعياتها ، و فضحا لمساعي روادها، و تعرية الأنساق الثقافية التي يشتغل خطابهم المضاد لها، و لعل المتفحص لرؤية المسدّي إزاء هذه الإشكالية يقر لا محال بغيرته على مستقبل النقد العربي وحرصه على معالجة قضاياه داخل منظومته المعرفية بعيدا عن نواميس الثقافة و الإعلام لما في ذلك من تهويل لحجمها وإقحام لغير المختصين فيها.

[1] عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد ، ن ص .
[2] ينظر :المصدر نفسه ، ص274 .

الفصل الثالث

استراتيجيات الخطاب النقدي

أولا: النقد و التضافر المعرفي

1- مفهوم التضافر المعرفي.

2- النقد و التضافر المنهجي.

3- التضافر النقدي اللساني.

ثانيا : حركية الأنموذج التضافري النقدي اللساني.

1-الإطار المرجعي .

2-الإخصاب المعرفي.

3-الإنجاب الإيبستيمي.

ثالثا :الخطاب النقدي و حيثيات كتابته .

1-مبحث نشوئية النص النقدي .

2- حيثيات كتابة النص النقدي.

أولا: النقد و التضافر المعرفي.

نشأ النقد الأدبي منذ القديم في كنف التلاحم مع علوم أخرى . ولا سيما الإنسانية منها و إذا اعتبرت علاقاته مع تلك العلوم فيما سبق مجرد ظاهرة عفوية تبرر بموسوعية المؤلف ، فقد أضحى للقضية وجه آخر إذ غالبا ما حملت على أنها عملية مقصودة ، و خاضعة لاستراتيجيات واضحة المعالم و الأهداف تحت عباءة ما يعرف بالتضافر المعرفي أو تضافر الاختصاصات، و قد حضي هذا الموضوع بعناية عبد السلام المسدّي في مختلف مؤلفاته هذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة موقفه من قضية تضافر النقد مع باقي العلوم ، و الأهم من هذا هل استطاع المسدّي أن يبني للنقد نهجا تضافريا يضمن له الإفادة مع الحفاظ على هوية المعرفة ؟ ثم ما تقييم هذا الناقد للأنموذج النقدي اللساني؟

1 – مفهوم التضافر المعرفي :

من قبل كانت المعرفة التي يتسلح بها القارئ ليحكم بها على الإنتاج النقدي قائمة داخل حضيرة الأدب ، فالأدب و العلم المتصل به كانا يُكَوِّنان مؤسسة متماسكة ، أما اليوم فتغير الوضع و أصبحت الحروف الأولى للنقد وافدة من خارج دائرة الأدب و النقد و هذا يعني << الاقتناع بأن مؤسسة النقد قد خرجت عن مدار فلكها الموروث ، و كفت عن كونها ملكا عينيا بيد النقاد من حيث هم نقاد و دخلت طورا جديدا هي فيه ملك مشاع بين النقاد و شركائهم المعرفيين >> [1] . و هذا يعني أنه لم يعد كل من النقد و الأدب بقادر أن يكون مستقلا عن المعارف الأخرى وهذا يعني ضرورة التضافر بين العلوم.

يؤكد عبد السلام المسدّي إن التضافر العلمي في مجال النقد الأدبي ليس أمرا حديثا و إنما كان منذ القديم غير أن هناك فرقا جوهريا بين << التقاء علمين على سبيل الصدفة و التقائهما على أساس الاستدعاء النظامي : فالتضافر بهذا المعني الجديد نسق منهجي ذو قواعد في أساسياته لأنه ينطلق من تخاطب الثقافتين و يرمي إلى توظيف إحداهما خدمة للأخرى .و الصدفة التي نعنيها هي تلك التي كانت فيما مضى تتحقق حين يتفق أن الناقد الأدبي قد سبق له أن اكتسب ثقافة ما من غير مورد الأدب : في التاريخ أو الفلسفة أو في العلوم الشرعية أو غير ذلك . فالصدفة تتحدد بالتقاء مَوْرِدَيْن فكريين في شخص الناقد فلا يكون ذلك التمازج الثقافي من مستلزمات المعرفة النقدية >> [2] .

و يؤكد عبد السلام المسدّي أن تطوير النقد الأدبي يتطلب وعيا كافيا بموضوع الاستثمار المعرفي ذلك ما يساهم في تغيير الرؤية إزاء مبدأ تمازج العلوم << فيما مضى كان التضافر قائما على الناقد ،

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص12 .
[2] المصدر نفسه، ص15.

مقيدا به ، منه يشع بعض الإشعاع على النقد . أما التحول المعرفي الحديث فيقتضي أن يكون التضافر قائما في النقد قبل قيامه في الناقد و أن يكون النقد هو المتقيد به ، و ان الإشعاع تبعا لذلك صادرا من التقاء المعارف بالضرورة لا بمجرد الاتفاق و الصدفة . فيما مضى إذا كان الناقد ثري الثقافة غزير الموارد ابتهج النقد به و احتفى، و اليوم إذا كان الناقد مقتصرا في ثقافته على الأدب تظلم منه النقد و اشتكى، فإنه هو كابر و استنكر أن ينعته ناعت بالتقصير الثقافي شقي به النقد و استيأس >>[1].

و بهذا يمكن القول بأن أهم التحولات التي طرأت على مفهوم التضافر بين النقد و سائر العلوم حسب المسدّي خضوع النقد لتصورات جديدة واضحة المعالم و الأهداف . إذ أثناء إقامة تلك الروابط التضافرية غالبا ما يحدد النقد متطلباته و احتياجاته المعرفية و المنهجية من باقي العلوم، كما يضبط قنوات التضافر بما يسمح بتخصيب أطروحاته الفكرية و آلياته الإجرائية من مفاهيم العلوم الأخرى ، و كل ذلك لأجل رسم مرتكزات مشروع تحديثي في النقد الأدبي .

وإضافة إلى المعطيات السابقة التي نشأ في كنفها التضافر المعرفي بين النقد و سائر العلوم ، يضيف عبد السلام المسدّي عاملا آخر يتعلق بالتغيرات الجوهرية التي طالت موضوع النقد و الأدب ، هذا الأخير الذي رسم لنفسه استراتيجية جديدة سيما ما ارتبط بعلاقته بالمجتمع << فتخطي كثيرا من الثنائيات الضدية الشائعة ، و استقر به الوضع على حقيقة جديدة هي أنه كيان رمزي ذو منزلة محظوظة بين عوالم الرمز التي منها معمار الجماعة ، و لهذا السبب أضحى وجيها أن نتعامل مع الأدب على أنه شهادة ثقافية أكثر مما هو رسالة اجتماعية >>[2] .

هي إذن رهانات فرضت نفسها على النقد الأدبي في مقدمتها إلزامية تطوير مقولاته المفهومية و آلياته الإجرائية بما يسمح له بتحسين مستوى مقاربة النصوص الإبداعية التي ولجت بدورها مرحلة جديدة لا نهاية فيها للتجديد على مستوى اللغة و المضمون .

إن المتأمل في طبيعة العلاقات التضافرية التي تجمع النقد بسائر العلوم ، يدرك استنادها إلى مداخل أساسية تمثّل مقابض النفس الأدبي و بها يحكم الناقد السيطرة على جوهر الفعل الإبداعي، و هذه المدارات الثلاثة هي : الدلالة، التأثير، القيمة .[3] وهي المواضيع التي تتوزع على علوم عدة مما يفرض على النقد أثناء دراستها عقد علاقات تضافرية واسعة بحكم تمازجه مع باقي العلوم في موضوع البحث .

---

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص16 .
[2] المصدر نفسه، ص5.
[3] ينظر: عبد السلام المسدّي: في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط،، 1994 ، ص18 .

إن التضافر المعرفي منتسب إلى طبيعة العلوم ، أكثر من انتسابه إلى اختيارات علمائه، و لئن أضحى الحديث عن مدى انتفاع العلوم من بعضها البعض من لغو القول فإن المسدي يدعو إلى إعادة قراءة هذا الموضوع بقوله << إذا جاز للجميع أن يقر معنا أن النقد الأدبي إلى حد اليوم قد كان من بين العلوم الإنسانية ، هو المستثمر الأكبر للتمازج المنهجي و التضافر المعرفي ، فإننا نزعم أن النقد الأدبي يمكن ـ بموجب الأسباب ذاتها التي أدت إلى ازدهاره الفريد ـ أن يكون هو الخاسر الأكبر على مستوى تميز الخصوصيات المعرفية و نصاعة الهويات الذاتية بين معرفة و أخرى >> [1] .

إن هذا الكلام يوضح أن النقد الأدبي العربي يتخبط في فوضى الإشكاليات المصطلحية و المنهجية ، نتيجة انعدام التحديد الدقيق لمجال علم من العلوم التي يعقد معها التمازج و التضافر .

انطلاقا مما سبق ، نستنتج أن التضافر المعرفي بين العلوم حتمية لا مفر منها ، فمنذ القديم كان التمازج بين العلوم فكان القران بين الأدب و الفلسفة و بدأ الوعي المنهجي يتشكل مع صور أخرى مثل تلاقح الأدب مع علم النفس و علم الاجتماع ، أما التضافر الحاصل بين النقد الأدبي و اللسانيات فكان القفزة الكبرى في تاريخ الأدب .

و نظرا لأهمية قضية التضافر المعرفي بين العلوم في العصر الحالي راح المسدّي يؤرخ لبداياتها على أنها قضية لقت الاهتمام في الندوات و المؤتمرات و الملتقيات العلمية ، و كسبت لنفسها شرعية التأسيس في جامعة أنديانا عام 1958 م حيث نوقشت قضية التضافر بين العلوم ، فكان محتوى المؤتمر قد تجسد في ندوة كبرى أقيمت حول الأسلوب و التي شارك فيها مجموعة من اللسانيين و النقاد و العلماء، و هذا يعني تجاوز موضوع الندوة دائرة الاهتمام اللغوي و الناقد الأدبي و بروز قضية الأسلوب، كما زاد جاكبسون تعزيز تلك الجهود من خلال تحريره البيان الختامي لمؤتمر جامعة إنديانا و الذي كان هدفه هو التأسيس لمبدأ التضافر المعرفي بين العلوم و الارتقاء به من قضية منهجية إلى قضية ابيستيمية[2] .

إن الاهتمام بقضية التضافر المعرفي بين العلوم في المحافل الدولية يوضح سر اهتمام المسدّي بهذه القضية و إعطائها مساحة كبيرة من كتابه "الأدب و خطاب النقد" محاولا لفت نظر النقاد إلى ضرورة تأسيس علم تضافر العلوم.

---

[1] عبد السلام المسدّي: في آليات النقد الأدبي، ص16.
[2] ينظر: عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد، ص (310 - 317 - 318 -).

2- النقد و التضافر المنهجي :

إن الهدف المرغوب تحقيقه في هذا المجال هو محاولة رصد خلاصة عامة لما قدمه المسدّي، حول قضية النقد و المنهج و التضافر الحاصل بينهما باعتبار أن النقد موضوعه الأدب و الأدب مادته هي اللغة، و بذلك << سيتداخل الحديث عن الأدب و الحديث في الأدب ، و سيوالجهما الحديث عن العلوم و المعارف ، و سيمتزج الجميع بالتأمل في هموم الفكر و بعض هواجس الثقافة >>[1] . إن هذا التوالج الفكري بين المعرفة النقدية و المعرفة اللغوية و نتيجة التغيرات السريعة التي عرفها النقد لذلك يوجب على الناقد اليوم في مجال هذه النظرية النقدية الجديدة أن يستوعب المقاييس النقدية و ذلك للوصول إلى امتلاك اللغة العلمية << و أول البداية في هذا المقام أن انفجار النظرية النقدية قد أتى إلى الجوهر الذي حوله يتحدث النقاد فجعله جواهر ، وجاء إلى موضوع النقد فجعله مواضيع : من الحديث عن الأدب ، إلى الحديث عن النص ، ثم عن الكتابة ، فعن التلقي ، في كل ذلك أنت لست متنقلا بين مصطلح و آخر ، و لست متجولا بين البدائل ، و إنما أنت مع كل لفظ تبرم عقدا فكريا جديدا له حيثياته و له أشراطه >>[2].

عرف الأدب و النقد في مسارهما الطويل لحظة من التضافر خاصة عندما خالطهما علم التاريخ و بذلك << بلغ التوالج تمامه الأقصى عندما ساد التسليم بأن للنقد حقا في العلم ، و بأن المنهج العلمي في النقد الأدبي هو المنهج التاريخي لا علم من غيره و لا علمية في سواه >>[3] .

رغم أن هذا التضافر الذي كان بين النقد و الأدب و التاريخ قد أتي بثماره إلا أنه غير مقصود بذاته بين الأطراف التي حصل بينها التضافر ، و لكن بدأ وعي جديد يتكون في المنظور المنهجي مع صور أخرى من صور التضافر كانت من تلاقح الأدب مع علمين آخرين هما علم النفس و علم الاجتماع فكانت اجتماعية الأدب و سوسيولوجية النقد، وزاد الوعي بوزن التضافر عند تمازج التاريخ و الفلسفة مع قضية الأدب و النقد و ظهر مصطلح يدل على المنهج الجامع بين النقد الأدبي و التحليل النفسي ، و مصطلح آخر يدل على المنهج الجامع بين النقد الأدبي و التحليل الاجتماعي[4].

و مع تطور الأدب و القفزة الكبرى عند التضافر الحاصل بين النقد الأدبي و اللسانيات، وكل ما في الأمر << أن هذا التضافر المنهجي هو الذي فجر النظرية النقدية ، و هو الذي بمفعول ذلك التفجير قد أعاد ترتيب أوراق المنهج و أقام توضيبا جديدا داخل بيت المعرفة ، فأصبح التضافر ذاته –الذي هو

---

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص6 .
[2] المصدر نفسه، ص10.
[3] المصدر نفسه، ص17.
[4] ينظر: المصدر نفسه، ص (17 - 18)

في منطقة توسل منهجي – محورا من محاور التأسيس الفكري و بالتالي عمد بناء النظرية العلمية قاطبة >>[1] .

إن قضية المنهج هي القضية الأولى في جميع حقول المعرفة إذ ترتبط نتائج كل علم بالمنهجية المتبعة فيه ، و لذلك فإننا لا نكاد نجد في عصرنا الحالي علما دون منهج ، و بذلك احتل المنهج كل هذه الأهمية خاصة في ظل انفجار النظرية النقدية ، لذلك فإن الطرح الذي يتحدث عنه المسدّي في هذا المجال هو خصوصية العلاقة بين النقد الأدبي و أفنان العلوم الانسانية الأخرى << حتى لا يتحول التضافر إلى تداخل يخرجه عن مقاصده بإذابة إحدى الهويتين ، فمرامنا إذن هو في نفس الوقت و بنفس الحرص الدفاع عن منهج متكامل و محاولة تحصين مجال الأدب عامة ، مما أصبح يضايقه في أدق مراسمه النوعية >>[2] . و بهذا يستلزم الحديث عن المنهج كلما اقتضى الحديث عن الأدب والنقد فالوعي الجديد يتشكل في المنظور المنهجي مع مختلف الصور الفكرية ، منها الفلسفة و الأدب و العلوم الانسانية .

و بذلك يمكن القول أن التجديد المنهجي وخاصة ما كان نتيجة التلاقح الحاصل بين اللسانيات و النقد الأدبي هو الذي يغني النص و يفتح أفق المعارف و ذلك بإعادة النظر في تعاملنا مع المعرفة ، و بالتالي فإن الاغتراف من منابع المعرفة الجديدة ، يتطلب جملة من المعطيات المعرفية المنتظمة في بناء متكامل ، يمكن اختصارها في كلمة واحدة هي التجربة باعتبارها الأساس في كل معاملة مع المناهج الحديثة ، بالانفتاح عليها إلى غاية ما ينتهي إليه المنطق ، و إحياء المعالم بتوظيفها، والخضوع لها و التقيد بمبادئها تقيدا تاما و التعرف بالأسس النظرية و الإجرائية التي تبنى عليها الاتجاهات النقدية المختلفة .

3-التضافر النقدي اللساني :

أصبحت اللسانيات في حقل البحوث الانسانية مركز اهتمام في العصر الحديث ،حيث أصبحت علوم كثيرة لا تكاد تستغني عنها ، سواء في مناهج بحثها أو في تقدير حصيلتها العلمية و في هذه الأهمية يقول عبد السلام المسدّي << فاللسانيات اليوم مَوْكُولٌ لها مِقْوَدْ الحركة التأسيسية في المعرفة الانسانية من حيث تأصيل المناهج و تنظير طرق اخصابها فحسب ، و لكن أيضا من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا ، ولا يتميز الانسان بشيء تميزه بالكلام ، وقد

[1] عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد، ص18.
[2] عبد السلام المسدّي: في آليات النقد الأدبي، ص17.

عده الحكاء منذ القديم بأنه الحيوان الناطق ، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أصبغت على اللسانيات من جهة أخرى صبغة الجاذبية و الإشعاع في نفس الوقت ، فاللغة عنصر قار في العلم و المعرفة ، سواء ما كان منها دقيقا أو معرفة نسبيا أو تفكيرا مجردا ، فباللغة نتحدث عن الأشياء ، و باللغة نتحدث عن اللغة ، و تلك هي وظيفة ما وراء اللغة و لكننا باللغة ـ بعد هذا و ذاك نتحدث عن علاقة الفكر باللغة من حيث هي تقول ما تقول ، فكان طبيعيا أن تستحيل اللسانيات مُوَّلِدْ لشتى المعارف >>[1] .

شهدت الساحة النقدية و اللسانية في العصر الحديث نقاشا واسعا حول العلاقة التي تجمع هذين العلمين ، و تطلعا كبيرا للارتقاء بتلك العلاقة إلى مستوى التضافر العلمي الذي تضبطه استراتيجية واضحة المعالم و قد وجد النقد الأدبي نفسه في خضم التحولات العلمية التي تطبع العصر، ملزما بأن يجمع لصفه علما صالحا لأن يكون اختياره على علم اللسانيات و بالتالي فإن << الرابطة الجامعة بين اللسانيات كمعرفة علمية للظاهرة اللغوية و النقد الأدبي كمعرفة تنشد أقصى حظوظ الموضوعية في مجال الظاهرة الإبداعية داخل مؤسسة اللغة هي رابطة تنتمي إلى الصنف الثاني مما أسلفناه ، أي إنها علاقة بين ضربين من ضروب النشاط الفكري >>[2] .

إن الحديث عن التضافر بين النقد و اللسانيات هو الحديث عن المنعرجات هامة ساهمت في صناعته ، حيث ارتبط هذا المفهوم بما قدمه "رومان جاكبسون" حيث يعد رائدا من أعلام اللسانيات يمثل بمفرده منعرجا حاسما في تاريخ العلاقة الوشيجة بين العلم اللغوي و العلم النقدي ، فقد كان له الفضل في تحقيق القفزة المعرفية التي أنجزتها تضافرية البحث بين حقل اللغويات و حقل الأدبيات ، هي رابطة تكاملية أُسست على قواعد معرفية ، فكان هذا ضمن مقالته الشهيرة " اللسانيات و الشعرية " ترجع إلى بحث قدمه جاكبسون في جامعة أنديانا[3].

و قد يعود اهتمام عبد السلام المسدّي بالرابطة التضافرية بين اللسانيات و النقد الأدبي هو << أن العناية منصبة على الفائدة المستخلصة من هذا الامتزاج ، لأن الحافز الأقوى الذي يدفع الأطراف و يخصهم على مضافرة الجهد بين رؤاهم هو الانتفاع بالثمرة المنتظرة ، وبناء على هذا أطرد التسليم بأن علاقة اللسانيات بالنقد الأدبي قائمة على مبدأ التوظيف فهو بذلك تظافر نفعي، وهذا

---

[1] عبد السلام المسدّي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط 3، 2009، ص17.

[2] عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ،ص111 .

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص(112 - 113).

التضافر بين العلوم كأنموذج التضافر بين الرياضيات و الفيزياء فهي رابطة استثمارية >>.[1] إن هذا التضافر الذي يهدف إلى الاستثمار العاجل هو الحافز الذي دفع عبد السلام المسدّي إلى إعادة تصوره إلى الرابطة التضافرية بين اللسانيات و النقد الأدبي، أما فيما يخص طبيعة العلاقة التي تجمع النقد باللسانيات فإنها حسب المسدّي تبعية إيجابية و لهذا التضافر بعد آخر << فالتبعية في ما نبسطه هي المقياس الذي به نتساءل كيف ينتهي التضافر المعرفي بين حقلين من حقول العلم ، إلى أن يصبح كل واحد منها –إلى حد ما –رهين الخطى التي يقطعها الآخر في صحبته على درب جسور التماس المشترك ، فكأنه قران متعة قد تحول إلى اقتران محايثة ، و هذا ما نزعم أنه حاصل أو كالحاصل في أمر علاقة اللسانيات بالنقد الأدبي ، هو حاصل فعلا في نظر من يقرأ لوحة المعرفة في طبقاتها المتراكبة بكثافة شديدة، وهو الحاصل لأنه من المظنون أن نؤسس له بما يكفل له الاندراج ضمن الجرعة الوسطى من الثقافة التي ينبغي أن تشيع . >>[2] . ثم يوضح المسدّي مفهوم التبعية المحايثة عن طريق إبراز أهم ثمارها في قوله << حيال اختبار معلمي في ورشة المفاهيم ، و قد تعلق هذا التجريب في منوال التبعية المحايثة و التضايق عن طريق ألية التقليبات مما يمكن استجماعه في سلسلة المعادلات التالية ، سعيا وراء الإيضاح بالاختزال لا حرصا على التشكيل الصوري بالضرورة:

1 . الأدب × اللغة = فقه اللغة.

2 . الأدب × اللسانيات = الأسلوبية .

3– اللغة × اللسانيات = الكليات .

4–الأدب × النقد =الأدبية.

5–النقد × اللسانيات =الخطاب.

6–اللغة × النقد =الدلالة >> .[3]

هكذا كانت رؤية عبد السلام المسدّي للتضافر النقدي اللساني قائمة على رسم حدود منطلقاته أو أصول تكونية ثم تحديد نتاجه بالاستعانة بنظام التقليب الرياضي لحشد مختلف الاحتمالات المتعلقة بثمار تضافر النقد باللسانيات ، و التي يصبو المسدّي من خلالها إلى إعطاء التضافر بين النقد و اللسانيات تبعية محايثة ، يصبح فيها كل علم رهين الخطى التي يقطعها الآخر، كما أن إصرار المسدّي السابق على حشد و تصنيف مختلف العلوم الناتجة عن تضافر حقلي النقد و اللسانيات ، لا يخلو من التأكيد على اكتساب القضية جانبا كبيرا من الدقة و الموضوعية إذا تقبل التصنيف بما يحفظ لكل علم خصوصيته و هويته المعرفية ، كما أنها تحمل طابع التضايق .

[1] عبد السلام المسدّي، الأدب وخطاب النقد، ص78.
[2] المصدر نفسه، ص98.
[3] المصدر نفسه، ص101.

ثانيا : حركية الأنموذج التضافري النقدي اللساني.

وضح عبد السلام المسدّي أهم ثمار التضافر المعرفي بين النقد و اللسانيات خصوصا بعد القفزة النوعية التي حققتها مع اللسانيات السوسورية في مطلع القرن العشرين ، لكن المسدّي لم يتوقف عند نتائج هذا التضافر المعرفي النقدي اللساني بل عمل على رسم معالم جديدة لهذا التضافر المعرفي مؤكدا بأن علاقة المعرفة النقدية بالمعرفة اللغوية لابد لها من تحول في المسار التضافري و إنه لا مفر من هذا التغير و يضبط مفهومه في قوله :<< فلئن كانت المرحلة الأولى من اقتران النقد الأدبي باللسانيات متقيدة بلحظة الدال و كانت المرحلة الثانية متقيدة بمرحلة المدلول .فإن الأفق الجديد الذي نسعى إلى تأسيسه يتقيد بلحظة الدلالة : أي لحظة الانصهار الذهني التي يمحي فيها حضور الدال بصفاته الفيزيائية ، يخرج فيها المدلول من كينونة الأنطولوجية ذات الإيحاء الهلامي >>[1] .

و من خلال هذا يمكن تقسيم المنعرجات التي قطعتها اللسانيات في مسارها المعرفي إلى ثلاث مراحل هي: المرحلة الأولى متعلقة بالدال و هي مرحلة الإطار المرجعي، والمرحلة الثانية متعلقة بالمدلول و هي مرحلة الإخصاب المعرفي، والمرحلة الثالثة و التي سماها عبد السلام المسدي مرحلة الإنجاب الإيبستيمي .

1- الإطار المرجعي :

في هذه المرحلة كان اللقاء بين اللغوي والناقد في الحقل الذي يختص بالبحث عن مقومات الكلام كظاهرة لغوية بغية تحسين النواميس المشتركة بين مختلف أبنية الخطاب و في هذا المجال تحاول النظرية النقدية استلهام خصائص الطاهرة اللغوية في موضوعها و عاداتها و تحولاتها حسب مراتب الكلام ، وأن أهم زاوية ينظر من خلالها عالم اللغة إلى طبيعة العلاقة التضافرية بين النقد و علم اللغة هي قضية مستويات الكلام أما بالنسبة للناقد فإنه ينظر إلى العلاقة التضافرية بين اللسانيات و الأدب هي أدوات التحليل النقدي << و عند هذه المحطة يقف الناقد الأدبي مسائلا المعرفة اللسانية فيما أثبت به من خبرات فنية أماطت عن مقومات اللغة ألثمتها ، و كشفت عن خبايا الكلام ، فجلّت كثيرا من مكنوناته و أبانت بعض أسراره عندما يتبدى في مراتب الفن و يرتقي على مدارج الإبداع >>[2] .

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ،ص20.
[2] المصدر نفسه، ص75.

و يعالج عبد السلام المسدي موضوع علاقة المعرفة اللغوية بالمعرفة النقدية ضمن المشروع المعرفي للسانيات لا ضمن المشروع المعرفي للنقد الأدبي كما عمل به إلى حد الأن و الحافز الذي دفع المسدي لهذه الدراسة هو << الحافز الأقوى الذي يدفع الأطراف و يحضهم على مضافرة الجهد بين رؤاهم هو الانتفاع بالثمرة المنتظرة ، و بناء على هذا اطرد التسليم بأن علاقة اللسانيات بالنقد الأدبي قائمة على مبدأ التوظيف >>[1]. و هذا يعني أن العلاقة بين النقد الأدبي و اللسانيات هي علاقة نفعية محكومة إلى مبدأ الاستثمار، و بالتالي تكون العلاقة التضافرية داخل المعرفة اللغوية لا من داخل دائرة المعرفة النقدية و يوضح "عبد الهادي بن ضافر الشهري" الاتجاهات اللغوية عند الغرب التي ارتكز عليها التضافر النقدي اللساني في مرحلته الأولى في مرحلتين :

أ- **الاتجاه الشكلي :** و يعرف باللسانيات الصارمة و يُعنى أساسا بدراسة النظام اللغوي معزولا عن سياق التواصل الاجتماعي ، و يسلط الضوء على مستويات اللغة المعروفة : المستوى الصوتي بشقيه الفونيتيكي و الفنولوجي ، المستوى التركيبي و هذا الاتجاه بدوره هو الآخر إلى قسمين : شق بنيوى يدرس المنجز اللغوي في صورته الآنية و يهتم بتحليل المستويات اللغوية قصد التوصل إلى العلاقات التي تربط بينهما ، و شق ثاني توليدي يشتغل على تفسير الظاهرة اللغوية في عمقها قبل الإنجاز ، و يتخذ هذا الاتجاه الجملة أساسا في التحليل ، منطلقا من فرضية أن الإنسان ينتج كلامه بمقتضى قواعد صورية، هذا ما يفرض البحث في العلاقة التي تجمع بين العقل و اللغة دون إهمال المكون البيولوجي ، ثم تطور المنهج التوليدي، و برز النحو التحويلي ، و بهذا انتقل اهتمام هذا النوع من الدراسة من وصف الظواهر إلى محاولة تفسيرها .

ب - **الاتجاه التواصلي** :و يُعنى بدراسة الظاهرة اللغوية أثناء استعمالها في التواصل ضمن إطارها الاجتماعي ، ذلك ما يستلزم دراسة السياق الذي تجري فيه عملية التلفظ بالخطاب اللغوي انطلاقا من تحديده و معرفة عناصره ، و دور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب و تأويله ، وكذلك دراسة افتراضات المرسل عند انتاج خطابه ، ووسائله و أهدافه و مقاصده أو محاولة التنبؤ بها ، و دراسة أنواع السياق مثل السياق الاجتماعي ، و النفسي و محاولة إدراك تأثير كل منهما في عملية توليد الخطاب . و تجلي هذا الاتجاه في مناهج كثيرة منها الدراسات التداولية.[2]

إن هذا التقسيم للاتجاهات اللغوية عند الغرب يوضح الاتجاهات الشكلية و ارتكاز الرابطة التضافرية بين

---

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد . ص78 .

[2] ينظر : عبد الهادي بن ضافر الشهري : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص (7 - 8 - 9).

النقد و اللسانيات على جانب الدال ومعرفة اللغة بوصفها مؤسسة إبلاغيه .

إن العلاقة القائمة بين المعرفة النقدية و المعرفة اللغوية هي وصف الظاهرة اللغوية << التي بوسعها أن تمارس على نص الأدب تشريحا واصفا فتتحرك داخل دائرة الإبداع ، وهي نفسها الذات التي في مستطاعها أن تمارس حقها في الذهاب مع الأدب حيثما أخذها : تنتشي به فتأخذ نصيبها من لذة النص دون أن يعكر صفوها في لحظة الامتلاء الفني خطاب محمول يقطع الحس المغمور بالعقل الغامر>>[1]. و بهذا يمكن تطويع النقد لفحص الظاهرة التضافرية التي تنعقد بين المعرفتين معرفة المؤسسة الإبلاغية و معرفة المؤسسة الإبداعية .

واصل عبد السلام المسدّي في هذه المرحلة الكشف عن خصوصية العلاقة التضافرية المعرفية بين النقد و اللسانيات من داخل مؤسسة الإبلاغ التي هي الظاهرة اللغوية بذاتها و لذاتها .و قفا عند النقلة التوليدية التي أفاد بها الفكر الأنجلوسكسوني التي تتمحور على ابتعاث المقولة التكوينية لتحل محل المقولة الأنية التي كانت بدورها محل المقولة الزمانية التاريخية و قد تمثل هذا الأنموذج الأنجلوسكسوني << في الغوص على المكونات التوليدية التي تحكم علاقة الإنسان باللغة منذ تشكل كيانه الوجودي من حيث هو كيان إنساني محايث للوجود الجماعي . فلا تشخيص للظاهرة اللغوية يمكنه أن يصل إلى درجة الأنموذج التفسيري ما لم ينفذ بنا إلى المركب الذهني في تشكله الدماغي و تشريحه البيولوجي و طوارئه الفيزيولوجية ، مع ما يفتل ذلك من ضفائر عصبية >>[2] .إن فهم اللغة من خلال الإنسان عبر ممر فهم الإنسان من خلال اللغة يوضح التمازج المعرفي بين مجال المعرفة اللغوية و هو اللسانيات و مجال المعرفة الأدبية و هو النقد .

من خلال هذا التوضيح يمكن القول أن مرحلة الإطار المرجعي تقوم على مداخل ثلاث : اللغة التي هي موضوع المؤسسة الإبلاغية و موضوع المؤسسة الإبداعية في ذات الوقت و اللسانيات التي هي معرفة اللغة بوصفها مؤسسة إبلاغية ، و النقد الذي هو معرفة اللغة بوصفها مؤسسة إبداعية .

2- الإخصاب المعرفي :

يقترح عبد السلام المسدي في هذه المرحلة معالجة مسألة التضافر النقدي اللساني ضمن المشروع المعرفي للسانيات لا ضمن المشروع المعرفي للنقد الأدبي ، و هنا يفترض رسم الحيز الذي تشغله معالجة الأدب ضمن دائرة الاهتمام الكبرى لدى عالم اللغة، و بذلك يتصور المسدي القضية من موقع جديد

---

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص83 .
[2] المصدر نفسه، ص95.

قادر على تغيير المعطيات المتعارف عليها لدى اللسانيين و النقاد ، لكن حسب المسدي هو تحويل العلاقة التضافرية بين النقد و اللسانيات إلى مشروع يحكمه الأخذ و العطاء من الطرفين [1].

و من خلال هذه المعطيات يبني المسدي مشروعه انطلاقا من نماذج المناول التفسيرية، سواء من جانب صور التضافر أو من جانب المناول التفسيرية المرتكزة على أنموذج الزمن بعده منوالا تفسيريا ذا بعد ابيستيمي.

عمد المسدي إلى استقراء منوال التضايف المتعددة التركيبات بجمع كل عنصر إلى سائر العناصر و تحديد التزاوجات التي تحدد رسمًا جديداً لخريطة الحقول الفكرية ، فعنصر الأدب إذا جمع إلى عنصر اللغة انبثق عنه فقه اللغة كحقل لممارسة شرح النصوص بإيضاح ألفاظها الفردية من معاجم اللغة[2].

عنصر الأدب إذ ركب مع اللسانيات كان الحاصل هو الأسلوبية التي تعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغيه تؤدي إلى أداة تأثير فني : إنها تبحث في الخصائص اللغوية ذات الوظائف الجمالية في الخطاب الأدبي[3].

وإذا تلاقح عنصر اللغة بعنصر اللسانيات نتج مبحث الكليات، و يعني النواميس العامة التي لا ينفك عنها لسان بشري في أي زمن من الأزمان و في أي ربع من ربوع الأرض ، و في حالة تضافر عنصر الأدب مع عنصر النقد كان الناتج مبحث الأدبية ، و هو المفهوم المستنبط من محاكاة عمل البحث اللساني عند بحثه عن الكليات اللغوية . و عند مقابلة عنصر النقد بعنصر اللسانيات فكان الناتج هو الخطاب بحيث يتحدد البحث في منطقة التنازع بين أدبية الأداء التداولي و تداولية الأداء الأدبي . أما تمازج اللغة مع عنصر النقد نتج عنصر الدلالة [4].

هذه هي التركيبات المثاني الست التي يمكن أن، تمارس على قضية التضافر النقدي اللساني وهي تمثل الشطر الأول من دينامية الأنموذج التضافري الجديد في مرحلة الإخصاب المعرفي .

أما فيما يخص الشطر الثاني من هذه المرحلة هو النماذج التفسيرية المرتكزة على أنموذج الزمن بوصفه منوالا تفسيريا ذا بعد إيبستيمي و الأنموذج الأول ضمن المناول التفسيرية هو القائم على مفهوم الزمن الطبيعي أو الزمن الفيزيائي حيث حاول النقد من خلاله محاكاة حركة التاريخ من حيث بعث حركة الزمن كما مضت ، و قد قامت ألية العمل الفكري في هذا الأنموذج على ثلاث مرجعيات هي الأدب ،

---

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص (77 - 78) .
[2] المصدر نفسه، ص99.
[3] حسين بوحسون : الأسلوبية و النص الأدبي ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، ع 378 ، 2002 ، ص2 .
[4] ينظر عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص ص ، 100 - 101 .

الأديب ، عصر الأديب . فالنص واقع بين زمنين: زمن صاحب النص قبل أن يضع نصه، و زمن صاحب النص بعد أن يضع نصه.و بالتالي يتم الانتقال آليا أثناء ممارسة المنهج التاريخي من بيئة الأديب، فالأديب، ثم نص أدبه، ثم صاحب النص الذي هو الأديب، و أخيرا العودة بثمرة النص إلى الأدب في عصر صاحب النص لإبراز مكانته التي من خلالها أقر الناس أنه أدب. و يوضح المسدي كثرة الإشكالات المعرفية المحيطة بهذا المنهج ، و في مقدمتها :مدى نجاح الناقد في مهمة المغادرة بين الزمن الفعلي الصائر إلى محاولة إحياء زمن تاريخي منصرم ، كما أن الناقد الأدبي الممارس لهذا المنهج يتوسل بالمنوال الذي يتوسل به المؤرخ دون أن يكون مؤرخا[1] . إن أنموذج الزمن الطبيعي ضمن مناويل التفسير هو الذي تتحدد به مقولة الزمن وهو في السياق التضافري .

أنموذج الزمن المنهجي و هو الأنموذج الثاني ضمن المناول التفسيرية و من خلاله نقرأ كل النظريات النقدية التي تحتكم إلى نص الأدب في ذاته و لذاته ، أي إلى نصية النص و هنا تبرز مقولة الأنية فبدل الرحلة المنهجية التي كان يقوم بها الناقد من الحاضر إلى الماضي ثم يعود إلا الحاضر فإنه في الزمن المنهجي يتعمد استقدام النص و استحضاره ،أي يختار الدرس لنفسه موقعا اعتباريا يجلب بموجبه الأدب من زمن النص إلى زمنه هو في اللحظة التي يباشر فيها نص الأدب ، من خلال هذا الأنموذج تنبثق مباحث النقد التي أملاها التطور النقدي و التضافر بين النقد و اللسانيات[2] .

إن هذه المرحلة هي مرحلة الإخصاب المعرفي كما سماها المسدي حيث يتم الاحتكام إلى جدول المقولات المتضافرة و إلى صور الأنساق : فمن جانب التضافر يتوافد فقه اللغة نتيجة تضافر الأدب و اللغة و الأسلوبية نتيجة الأدب و اللسانيات و الكليات نتيجة اللغة مع اللسانيات و الأدبية نتيجة ترابط الأدب مع النقد و ينتج عن النقد و اللسانيات الخطاب و عن اللغة و النقد الدلالة ، و من جانب صور الأنساق لمفهوم الزمن نجد أنموذج الزمن الطبيعي (الزمن الفزيائي) ، و أنموذج الزمن المنهجي و بإعادة نمذجة الزمن الوصول إلى مرحلة الإنجاب الإيبستيمي .

3 ـ الإنجاب الإيبستيمي :

تقوم هذه المرحلة على إعادة نمذجة الزمن بوضع مفهومين جديدين لمفهوم الزمن هما الزمن النقدي و الزمن الدلالي . و في توضيح المسدي لمفهوم الزمن النقدي ، يذهب إلى منوال التناص ضمن دائرة الأنموذج النشوئي ، حيث يتم الدفع و الاسترجاع بين النص الأدبي الحاضر و النص الأدبي الغائب

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص (102 - 103) .
[2] المصدر نفسه، ص104.

و في هذه الأثناء يجب الفصل بين الزمن الفيزيائي الذي صيغ فيه النص المضاد أي النص الذي تسلك إليه الصورة و النص الذي منه جاء القالب و الرمز [1] .

إن البحث في التحولات المعرفية و المنهجية التي قطعتها النظرية النقدية ، يستدعي الوقوف عند المنطلقات الأولى ، و إذا كان التحول الفعلي و الثورة المنهجية في مسار الدراسات النقدية مدينة بالفضل للسانيات في إرساء دعائمها ، فإن التحول النوعي في حقل النقد الأدبي قد تحقق بفضل معطيات نظرية التلقي التي أرسى دعائمها كل من "ياوس" و "إيزر" و بذلك عزز النقد مناهجه النصانية بأبعاد نقدية ومنهجية جديدة من خلال إعادة صياغة مقولة الزمن التي تجاوزت الثبات لتؤسس لنفسها نسقا خاصا يقوم على سلسلة التلقيات التي حضي بها العمل الأدبي عبر سيرورته التاريخية ، و التي تفسح المجال للتفاعلات القرائية و التأويلية و لهذه الرؤية بعدها الإجرائي حيث << إن مركز الفرضية النقدية عند ياوس هو الخبرة الأدبية للقارئ ، التي بدورها تتمحور حول أفق التوقع كمفهوم و كإجراء هذه الخبرة التي يعتقد ياوس أنها بإمكانها أن تتحاشى النزعة النفسية التي تطبق الآليات السيكولوجية في تحليلها لاستجابة القارئ و تحليله للأعمال الأدبية ، و بالتالي فإن تحليل الخبرة الأدبية للقارئ تترعرع بهدف توصيف عملية استقبال العمل و الأثر الذي أحدثه ، إلى إعادة تكوين أفق التوقع للجمهور الأول الذي تلق العمل أو مجموعة القراء المزامنين لعصر ظهور العمل الأدبي >>[2].

هذه التحولات المنهجية التي طرأت على النقد الأدبي و التي يعود الفضل في صياغتها إلى طروحات نظرية التلقي . أما فيما يخص الأنموذج الثاني فهو أنموذج الزمن الدلالي و يوضح عبد السلام المسدي مفهومه في قوله : << إن النص الأدبي يحمل داخل كيانه حقيقة دلالية هي حقيقته هو التي حصَلها من المراوحة المتموجة بين العرف الدلالي المستقر و الأعراف الدلالية المتحولة ، و الخط البياني الراسم لهذا النفق تحت طيات الدلالة اللغوية هو الذي سنصطلح عليه بمقياس الزمن الدلالي ، نعم إن الزمن الدلالي الذي نصوغه كما صغنا مفهوم الزمن النقدي يأتي ليكمل الضفيرة المنشودة بين مؤسسة الإبلاغ و مؤسسة الإبداع و ليكمل الجدلية المفتولة بين المعرفة اللسانية و المعرفة النقدية في تضافرهما الجديد >>[3] . بهذا فإن عبد السلام المسدي يطرح رؤيته للتضافر النقدي اللساني استنادا إلى مقولة الزمن التي أخذت حظها من الاهتمام بفعل قدرتها على كشف اللثام عن المواقع المنهجية المتمايزة التي يتخذها القارئ من النص الأدبي.

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص104 .
[2] خير الدين دعيش : أفق التوقع عند ياوس ما بين الجمالية و التاريخ ، مجلة قراءات ، جامعة بسكرة ، ع1 ، 2009 ، ص73 .
[3] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص ص 109 - 110 .

و مثلما كانت اللغة حلقة وصل بين النص و القارئ و القراءة كانت أيضا مفعلا للتجاذب بين المعرفة اللسانية و المعرفة النقدية عبر مختلف مراحل تضافرهما و استنادا إلى هذا الطرح بني عبد السلام المسدي رؤيته للمرحلة الجديدة التي سماها بلحظة الإنجاب الابيستيمي و تكون حسب المسدي حين << نعيد نمذجة الزمن بوضع مفهومين جديدين هما : مفهوم الزمن النقدي ، و مفهوم الزمن الدلالي ، فأما الأول فهو التغذية الراجعة من اللسانيات إلى النقد الأدبي في قرانها التضافري ، و أما الثاني فهو التغذية الراجعة من النقد الأدبي إلى اللسانيات بموجب بنود عقد الشراكة >>[1] .

و مفهوم التغذية الراجعة بين حقلي النقد و اللسانيات و التي يدعو إليها عبد السلام المسدي هو إعادة تقييم المنجز التضافري في سياق معرفي شمولي لا يؤمن بوجود حدود بين العلمين ، و يكرس منطقا حواريا يسوده الأخذ و العطاء .

و حتى يتم الحوار المعرفي بين النقد و اللسانيات يتوجب اختيار وسائل التواصل بينهما ذلك لأن << العمل بين الحقلين قد كان ينبني على هندسة ثابتة ، و الآن سيتأسس على هندسة متحولة : ينظر عالم اللغة إلى اللسانيات و هي تشتغل على النص الأدبي فيستكشف ما يعين الناقد على إيضاح آليات اللغة في تحولها من وظيفة الإبلاغ إلى وظيفة الإبداع . و ينظر عالم الأدب إلى النقد و هو يستثمر مقومات المعرفة اللسانية فيزداد إدراكا بآليات اللغة كيف تعمل و هي نظام إشاري ، و ما الذي تستسقيه من أبنيتها و من صيغها ومن قوالبها عند رحلتها من التداول إلى الفن، و ما الذي تستصحبه معها من الفن عندما تقفل راجعة بعد سفرها فترتسم بصماته على جسد اللغة : لغة الإصباح و الإمساء>>[2].

و عبر هذا التداخل بين مجال المعرفة النقدية و اللسانية تتبدي ملامح التواشج و الاتساق في مشروع التضافر النقدي اللساني ، ذلك ما جعل عبد السلام المسدي التأكيد بأن << حمل هاجس اللغة مع هاجس الأدب من جهة أولى ، و حمل هاجس التأمل النظري مع هاجس المجاهدة التطبيقية في هذا و ذاك من جهة ثانية ، يحفزاننا إلى القول بأن بين اللسانيات و النقد الأدبي في عصرنا فرصة لإمضاء عقد من الشراكة المعرفية يغدو العلم اللغوي فيها من المعارف المتصلة بالنص بمقدار ما يغدو العلم النقدي فيها من المعارف المتعلقة باللغة . و لكن الأمر يقتضي منذ البدء إحكام منظومة التأويل في المعالجة التفسيرية >>. [3]

---

[1] عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد، ص110.
[2] المصدر نفسه، ص97.
[3] المصدر نفسه، ص98.

انطلاقا من هذه الآفاق التي فتحت للنص الأدبي، لم يخف المسدي قلقه إزاء العقبات التي تعترض المشروع التضافري بين حقلي النقد و اللسانيات، ولعل في مقدمتها إشكالية المعنى إذ أن تتبع مسار العلم اللغوي، وكذا استشراف مستقبله يثبت << بأن الامتحان الصعب أمامه هو إحكام قضية الدلالة التي هي غاية كل البنى في الكلام : بنية الصوت وبنية التركيب، فإن رمنا الدقة قلنا إن السؤال المعضل الملقى على اللسانيات هو المتصل بتصميم أنموذج نسقي يحاصر المعنى منهجيا ويسيج حقل الدلالة بآليات نافذة ترقى إلى مرتبة الطموح العلمي الذي أنشدته الدراسة اللسانية >>[1].

و بهذا سيظل لإشكالية المعنى أثرا واضحا في إعادة بعث التساؤل عن أثر اللسانيات، إذا أن استعصاء المعنى على نمذجة النسقية في العصر الراهن، يفرض على اللسانيات أن تشق لنفسها استراتيجية جديد يصرح بها المسدي في قوله:<< إن الذي ندعيه و ندعو إليه هو أن الأدب يفتح أمام اللسانيات –بفضل المعرفة المبنية عليه وهي النقد – فضاء رحبا لتحليل الدلالة لتفسير المرمى الأدبي وليس هو تحليل الدلالة لإغناء القاموس بتوسلات إيحائية أو تضمينية جديدة، وليس هو تحليل الدلالة لضبط لائحة القرائن المسوغة للمجاز، ولكنه تحليل دلالي غايته محاصرة المعنى في بعده التداولي: نعني أنه استقراء لآليات الجدول المعجمي في دخوله سياق التركيب >>[2].

هكذا يطرح عبد السلام المسدي رؤية جديدة قوامها، أن التداولية قاعدة ضرورية لكل بحث لساني يرمي ولوج عالم النص الأدبي بكل ما يحويه من دلالات متنوعة تنوع بناه التركيبية.

وفي الأخير يمكن القول بأنه رغم إمكانية تعبير النص الأدبي عن ذات المتكلم، واحتياجات المتلقي ذلك ما يسمح بمقاربته تداوليا، إلا أن الإمساك بمقصديه الأديب /المبدع في نصه، أو محاصرة المعنى فيه حسب المسدي يعد ضربا من المستحيل لأن تفلته سر من أسرار كينونة النص الأدبي وتخطيه حدود الزمان والمكان.

[1] عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد، ص106.

[2] المصدر نفسه، ص91.

ثالثا: الخطاب النقدي وحيثيات كتابته.

إن ما يعانيه النقد العربي من الأحكام المطلقة التي تفتقد لأدنى مستويات الوعي المعرفي و المنهجي ذلك ما جعل عبد السلام المسدي يؤكد << أن البحث في نشوئية النقد الحديث يستوجب قبل كل شيء إجراء الحفريات التكوينية اللازمة و التي هي قاعدة التأسيس المعرفي، وهذا في حقيقة الأمر يرتد إلى إطار على جانب من الاتساع إذ ينبغي أن يشمل ـ إذا ما تكاملت مراحله ـ رجوعا إلى أصل القضية في مشروع الحداثة النقدية >>[1]. إن خضوع الخطاب النقدي لمحددات البنية الثقافية التي يتنوع توالجها بين بيئة علمية منتجة (الغرب) و بيئة علمية مستقبلة (العرب)، يستوجب البحث في منابع الحداثة النقدية ،أو البحث في الإشكاليات التي تطرأ على الخطاب النقدي لما يتنقل من بيئة معينة إلى بيئة أخرى تختلف عنها من حيث اللغة و من حيث المرجعيات و الخلفيات الفلسفية ، و عليه فإن النقد الحديث في أمس الحاجة إلى البحث في نشوئيته، هذا ما جعل عبد السلام المسدي يبحث في حيثيات إنتاج الخطاب النقدي، متخذا المشاريع النقدية المستوردة من الغرب أنموذجا يحفر في خصوصياته الفكرية . فما مفهوم مبحث نشوئية النص النقدي ؟ و ما هي حيثيات إنتاجه ؟

1- مبحث نشوئية النص النقدي:

يطرح عبد السلام المسدي مجموعة من الأسئلة لتجسيد رؤيته لمبحث نشوئية النص النقدي أهمها من الذي يوجه خطي النقد ؟ أو من الذي يتحكم في حيثيات إنتاج الكتابة النقدية ؟ و هل الناقد هو الذي يختار دوما بمحض إرادته موضوع كتابه ؟ وما حظ السياق في تحديد وجهة النقد ؟

ينادي عبد السلام المسدّي بضرورة حمل الفكر النقدي لهموم الحيثيات المتصلة بإنتاج النص النقدي ذاته كما حمل هموم الحيثيات المتصلة بإنتاج النص الأدبي ذلك << أن العمل الأدبي لم ينشأ من فراغ و لافي صحراء من السياقات و الدلالات الاجتماعية و الثقافية المعقدة و المتنوعة >>[2] .

أما حيثيات إنتاج النص النقدي التي يقصدها عبد السلام المسدي هي << الكشف الذي يشخص لنا بالأشعة أو بالمرايا أو الرنين المغناطيسي الأشراط التكوينية التي ترافق تلك المرحلة النشوئية >>[3] .

و بناء على هذا يزعم عبد السلام المسدّي أن إلغاء تاريخية النص الأدبي هو الذي يدفع إلى وجود تاريخية النص النقدي.

يخضع الخطاب النقدي حسب تصور عبد السلام المسدَي لنمطين من السياق. سياق داخلي

---

[1] عبد السلام المسدّي: في آليات النقد الأدبي، ص82.
[2] خيرالدين دعيش:أفق التوقع عند ياوس ما بين الجمالية و التاريخ ،مجلة قراءات ، ص85.
[3] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص301 .

و سياق خارجي، السياق الخارجي هو ذلك الذي أمره شائع متداول، لأنه عالق بالسياق الاجتماعي و بالسياق الفكري ثم بالسياق الثقافي الذي هو قرين المؤسسات و لكن الداخلي منها على درجة من الدقة و الخفاء[1] . و هذا يعني أن التأريخ للنص النقدي يخضع لحيثيات التركيب المتصلة بعلاقة أجزاء الكلام بعضها ببعض و حيثيات التداول مرتبطة بالسياق الاجتماعي و الثقافي حتى الوصول إلى اكتشاف الحيثيات التي تصاحب نشأة النص النقدي .

كما أن مبحث نشوئية النص يسلك سبيلين الأول هو المراحل التي تَكَوَّن فيه النص في بداياته على يد صاحبه و كيف تمت معاودته إلى حد اكتماله وما طرأ عليه من تغيرات بين الحين و الآخر و هي مرحلته الداخلية و السبيل الثاني و هي المراحل التي يسلكها النص خارج حدود صاحبه و هي المرحلة الخارجية [2] .

أن الحديث عن السياقات و تحديد أثرها في توجيه مسار الخطاب النقدي تضبط مفهوم نشوئية النص النقدي إذ يقول المسدي << لسنا هنا في حضرة تاريخ النقد ، و لسنا هنا في محفل تاريخ النقد، و لكننا نجتهد في زرع تصور مغاير لعل أفق الصور التمثيلية التقريبية بالمجاز هو القول بأن للنص النقدي كما للنص الأدبي فترة من الحمل يتخلق فيها قبل أن يحين أوان وصفه >>[3].

كما يؤكد عبد السلام المسدي أيضا أن << رد مضمون الفكر إلى سياقه و إلى مقامه ليس ترفا من التسآل و لا هو بذخ من المساجلة ،إنه كشف للمغيب عن الوعي الإدراكي الصريح ، و أنه السبيل القويمة لمراجعة مسيرة العلم كي يُنَقى من شوائبه فيتسنى تصحيح أخطائه ، و لنا أن نعرف – من خلال بعض نماذجه العينية – كيف تتطور الفكرة و تتخصب بفعل الحوار الجماعي الذي يدور حولها عند الإفضاء بها وسط المحفل العلمي المزدان بحضور المتخصصين ؛ ثم كيف يخرجها إلى أصحابها إلى الناس منشودة في الكتب بعد الإلماح إلى التدقيقات أو التصحيحات الطارئة عليها >>[4].

من خلال هذا يتضح أن عبد السلام المسدي ينادي بضرورة البحث في السياقات المحيطة بنشأة الخطاب لما في ذلك من كشف للمستور و تنقية لمسار العلم من الشوائب ، هذا ما يلزم الولوج إلى المناطق الخفية الثاوية خلف المنتج المعرفي، و المتمثلة في حيثيات إنتاج المعرفة ، وشروطها الخارجية.

---

[1] ينظر: عبد السلام المسدّي: مساءلات فكرية، الخطاب النقدي و حيثيات إنتاجه، صحيفة الرياض، ع 12914، 2003.
[2] ينظر عبد السلام المسدّي: الأدب و خطاب النقد، ص95.
[3] المصدر نفسه، ص 300.
[4] المصدر نفسه، ص306.

2 – حيثيات كتابة النص النقدي :

يقر عبد السلام المسدي بأن << كل تاريخ النقد الأدبي يمكن أن يعيد كتابته من منظور مقامات التأليف التي هي الأشراط الموضوعية الحافة بنشوء مضامينه ، و هي الظروف التاريخية التي ألمت بصياغته ، و كذلك الملابسات الاجتماعية التي رافقت لحظات افضاء به ، و ربما هي أيضا المؤسسات الثقافية التي كانت تنطلق باسم الأعراف المجتمعية ، أو تترجم عن مقاصد القمم في معمار السلطة المقامية >>[1].

المؤسسة ذات حضور قوي لحظة إنشاء النص النقدي فيقول المسدي << نحن إذن بحضرة المؤسسة الساهرة على مولد النص الفكري و ربما متحكمة من بعض الوجوه في ظروف نشأته و المؤسسة هنا كأنها تتخذ صورة الكفيل الذي يراعي التأليف و يسهر على دوامه >>[2] .

فالمؤسسة تحتضن الكاتب بالحماية و المؤازرة فهي ذات حضور جلي في لحظة إنشاء النص، من خلال الحفر في بواطن المكشوف و البحث في الحفريات نجد أن هناك حوافز كثيرة داعية إلى التأليف ، و حيثيات حافلة بلحظة الكتابة فأحيانا يكون الداعي من رموز السلطة أو مؤسسة << فحيثيات الكتابة كانت تتواتر على الانتداب : المجتمع ينتدب الكاتب مستدعيا إياه إلى أن يكتب ، فحينا يكون الداعي من رموز السلطة في أعلى الهرم ، و حيننا هو من عامة خلق الله >> [3].و في النهاية فيتسمى الكتاب باسم الشخص الذي حفزه على الكتابة مثل كتاب الصاحبي لأحمد بن فارس .

من جهة ثانية فإن المسألة تؤخذ من منظور المقام المتحكم في صناعة المعرفة و إنتاج لحظة انبثاقها. فأكبر منجزات العلوم تأتي في أبحاث تهيأ ثم تقدم في سياق المؤتمرات العلمية المتخصصة ، و هنا يطرح عبد السلام المسدّي بعض الأسئلة من يصنع المعرفة ؟ و من يهيئ لها مناخها ؟ و من ينتج حيثياتها ؟

و يعتبر عبد السلام المسدي أن ما يهيئه المختصون في شكل مقال أو ورقة أو بحث فيرشحونه للمؤتمرات هو النواة التي تصبح مرسما بيانيا واسعا يختصه مشروع فكري ، و هنا تكون التنشئة جماعية ، وفي هذا المقام يوضح عبد السلام المسدي حيثيات المقام بأنموذج لكتابين ألفهما " نوام تشو مسكي " الكتاب الأول " اللغة و الفكر " و الكتاب الثاني " اللغة و مشكلات المعرفة " فالكتاب الأول كانت بدايته محاضرات قدمها في جامعة كاليفورنيا ثم توالت ، حيثيات سياقه ، كدور المؤسسة في

[1] عبد السلام المسدّي : الأدب و خطاب النقد ، ص306 .
[2] المصدر نفسه ، ص 303 .
[3] المصدر نفسه ، ص ن

إنضاج أفكاره و تضافر جهود المناقشين و المحاورين ، أما الكتاب الثاني " اللغة و مشكلات المعرفة " هو الآخر حصيلة محاضرات قدمها في جامعة أمريكا الوسطى و توالت حيثيات إنتاجه بفعل الجهود التي صنعها الآخرون [1] .فالحيثيات في هذا المقام فردية و جماعية بتضافر الفرد مع الجماعة أوبين الفكر و المؤسسة و بهذا ينادي عبد السلام المسدي بضرورة البحث و الحفر و استكشاف الخبايا المعرفية لا فقط من خلال المؤلف بل أيضا من خلال الحيثية المقامية التي أدت إلى كتابة النص.

كما أن رحلة الأفكار من موطنها الأول إلى موطن ثقافي لا يطابقه تصنع في الثقافة صنيعا لا تصنعه الأفكار ذاتها أنه بعد التبييئة ، و هذا ما وضحه عبد السلام المسدي في إطار حيثيات الكتابة بأنموذج جاكبسون و كتابه " اللسانيات و الشعرية " هو بحث أعده ليشارك به في مؤتمر عقد بجامعة أنديانا << حيثيات رافقت إنتاج هذا النص فمنها حيثيات النشوء نقرأها من صميم إنجازه العلمي الذي سبق النص – و حتى الذي تلاه – و منها حيثيات التنشئة نقرأها من خلال المقام الذي استدعى النص حرض صاحبه عليه و هناك حيثيات أخرى تخص استقبال النص : فكريا في بيئته و ثقافيا في البيئة التي يهاجر إليها >>.[2]

أنها آلية تلقي النص النقدي التي هيأت ميلاده و بالتالي فعبد السلام المسدي إلى تأسيس نمط من الدراسة الحفرية التي تغوص في عمق الخطاب النقدي و تلوذ إلى مناطقه المظلمة قصد استكناه حقائق جديدة لها أثر واضح في سياقات التلقي التي ستضل بحاجة إلى مساءلة << يقودها محرك واحد ما الذي – في رحاب الإنجاز النقدي – يظل غائبا ، أو مغيبا ، و ما الذي يدخل في المسكوت عنه ، أو " المغطى عليه " كما كان القدماء يقولون ؟ و ما الذي من كل ذلك يتدخل في مضمون الحكم النقدي أو في تلوين المنهج النقدي و لماذا قضت الأعراف بأن النقاد يتناقلون " القيمة " ويغضون الطرف عن حيثيات صدور "القيمة " ؟ >>[3] .

إن حرص عبد السلام المسدي على ضرورة إعادة كتابة تاريخ النقد ناتج عن ارتباط وثيق الصلة بالإشكاليات التي تعترض سبيل المثقف العربي ، و بذلك لم يتوان عن التصريح << بأن إعادة كتابة تاريخنا الثقافي هي التي ستجيبنا عن السؤال العنيد الأول : لما كان الكاتب يبحث لنفسه عند كل لحظة تأليف عن مبرر لفعل الكتابة ؟ ، و لماذا كان يتقصى من السلطة الرمزية التي كان يسبغها عليه ميثاق

---

[1] ينظر : عبد السلام المسدّي ، الأدب و خطاب النقد ، ص(307 – 308).
[2] المصدر نفسه ، ص311 .
[3] المصدر نفسه ، ص 302 .

إنتاج المعرفة ؟ و ما الذي أدخل هيبة الفكر تحت أقنعة التسويغ ؟ و هي التي قد تجيبنا عن سؤال الاستعصاء : ما الذي كان وليد حيثيات ذلك الفعل أكثر مما كان وليد الفعل ذاته ؟>>[1] .

كما ينادي عبد السلام المسدي بضرورة إنضاج الفكر العربي و تأسيس مبدأ علني مفاده كتابة سيرة المعرفة من خلال الاعترافات التي يدلي بها العلماء و يدونونها في سيرهم الذاتية. ذلك ما يسمح بكشف حيثيات نشأة أفكار الناقد ، و مراجعة النقد من خلال حيثيات إنتاجه الخارجة عن خطابه ، و بذلك يتجاوز البحث في حيثيات ميلاد الأفكار مسألة التاريخ لها ، و يبوح النقاد بما في مخزوناتهم ، و ما الذي حفزهم عن الكتابة ، و ما هي المواضيع التي اختاروها ، و الحوافز التي دفعتهم للكتابة ، و كيف ساعدتهم تلك الحوافز في ضبط منجزاتهم النقدية ، كل هذه التساؤلات و أخرى توضح كيف تكون السيرة الذاتية أفضل الكتابات السامحة بكشف حيثيات نشأة الأفكار .[2]

يهدف عبد السلام المسدي إلى استكشاف خبايا الخطاب النقدي و فضح المسكوت عنه ، أما السبيل إلى ذلك فهو كتابة تاريخ النقد و إعادة الاعتبار للسيرة الذاتية للناقد ، و كذلك إعادة الاعتبار للهوامش المحيطة بإنتاج النص النقدي أو ما يعرف بسياقات إنتاج النص النقدي على غرار باقي الخطابات الفكرية و الاجتماعية و الثقافية التي لفظته ، و هذا من أجل تقويم مسار النقد العربي الراهن و تنقيته من الشوائب على الصعيدين المعرفي و التواصلي على حد السواء .

---

[1] عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد، ص306.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ص (346 – 347).

خاتمة

خاتمة :

بناء على ما تقدم عرضه في فصول هذا البحث يمكن تسجيل أهم النتائج المتوصل إليها والتي نوجزها فيما يلي :

– يعد عبد السلام المسدّي من أهم رواد النقد العربي الحديث الذين ترسخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي في العالم العربي، ولعبد السلام المسدّي مؤلفات كثيرة منها في اللسانيات، ومنها في النقد الأدبي، ومنها في السياسة، والإبداع.

– يتضمن كتاب الأدب و خطاب النقد أثنى عشر فصلا، تتناول العديد من القضايا النقدية، إلا أنها ليست قضايا مستحدثة، وإنما هي مطروقة بشكل كثيف من طرف النقاد والدارسين في النقد العربي المعاصر.

– تتضح المرجعية اللسانية في مدونة الأدب وخطاب النقد من خلال مرتكزات التفكير اللساني عند عبد السلام المسدّي، والتي تمثل تجربته النقدية القائمة على العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي ، أما المرجعية الحداثية عن تحيز عبد السلام المسدّي للبعد الحداثي المسيج بالمرجعية الثقافية المشيعة بالتراث النقدي.

– انطلاقا من التعريفات المختلفة للحداثة يتضح أن الحداثة مازالت إشكالية يعاني منها النقد العربي الراهن ذلك لوجود الالتباس حولها، ويمكن اختزال نتائج إشكالية الحداثة في معضلة مصطلحية سرعان ما انبثقت عنها عوالق فكرية خطيرة تجر في غالب الأحيان إلى اضطراب في الفهم وفوضى في التداول.

– أما رؤية عبد السلام المسدّي لثنائية الحداثة و التراث فتقوم على مبدأ الحوار الفعال والمثاقفة المستمرة و ذلك من خلال الانفتاح على منجزات الحداثة الغربية مع الوعي بأصولها المعرفية و خلفياتها الفكرية .

– يفرق عبد السلام المسدّي بين الحداثة النقدية والحداثة الإبداعية، فالأولى هي نتيجة المناهج الجديدة التي توالت من الغرب على الأدب العربي وما تحتويه في طياتها من خلفيات فلسفية، أما الحداثة الإبداعية فهي قوالب جديدة في الشعر والنثر . كما يرجع عبد السلام المسدّي هذا الالتباس القائم بين المفهومين إلى العقل النقدي الغائب الذي يعد السبب المباشر لهذا الالتباس، كما أن هذا اللبس أدى إلى ظهور العديد من الاشكاليات في النقد العربي الراهن، كإشكالية المصطلح و إشكالية الغموض النقدي.

– إن إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث ماهي إلا امتداد طبيعي لإشكالية الحداثة فمنذ انفتاح العرب على الآخر (الغرب) تجلت مظاهر الإلغاز والغموض، والفوضى في استعمال المصطلح. .

– يرجع عبد السلام المسدّي إشكالية المصطلح النقدي إلى بعدها الثقافي نتيجة انعدام الوعي لدى المثقف العربي بخلفيات نشأة المصطلح النقدي، ووفاء المصطلح للبيئة الأولى التي نشأ فيها، وعجز النقاد العرب عن أقلمته بما يتلاءم ومعطيات البيئة الجديدة التي استقبلته، هذا ما جعل عبد السلام المسدّي يحصر إشكالية المصطلح في نطاقها المعرفي.

– إن معالجة الأزمة الاصطلاحية من منطلق الحدود التي رسمها عبد السلام المسدّي هي تبسيط النقد و تيسير اللغة وذلك بانضباط أدائي أول مفاتيحه الإقرار بحرمة المصطلح، والاعتراف بعلم المصطلح كعلم قائم بذاته يحفظ كيانه ويصون لغة النقد كما يطالب عبد السلام المسدّي بضرورة الوعي الاصطلاحي أو كما سماه مهمة استثناء من أجل الارتقاء، واحترام خصوصية المصطلح، ومعرفة الخلفيات التي نشأ فيها من طرف الناقد والمتلقي حتى تتقلص الهوة بين الطرفين . كما نادي بضرورة الإلمام باللسانيات لأن اللسانيات تحمي الخطاب من التعسف التداولي .

– يلخص عبد السلام المسدّي إشكالية الغموض النقدي في أزمة سوسيو ثقافية مبعثها خلل في التواصل الثقافي في أوساط الوطن العربي، وهذا يعني ضعف مستوى المتلقي العربي، وفشله في الاحاطة المعرفية بمنابع النقد من فلسفة، ولسانيات.

– كما يتطرق عبد السلام المسدّي لإشكالية الخطاب المضاد الذي يتفنن في تصنيع آليات التهجم على النقاد من خلال صياغة خطابات تشتكي غموض النقد، وأخرى للاحتفاء بخطابات الشكوى.

– إن قضية الخطاب المضاد جعلت عبد السلام المسدّي يعلن براءة المصطلح بعد أن اتخذه بعضهم ذريعة للتهجم على النقاد وعلى تظلم المصطلح، والخطاب النقدي.

–لمعالجة إشكالية الغموض نادى المسدّي بضرورة الإقرار بمرجعية الإشكالية، وتوضيح مسبباتها وهذا جزء من خلخلة الخطاب المضاد وهز أعمدته من خلال استراتيجية محكمة تهدف إلى تكوين وعي معرفي بأصول الأزمة وإبقاء إشكالية الغموض النقدي داخل أسيجة النقد، وعزلها عن العالم الخارجي .

– كما يعالج الإشكالية بسحب البساط من تحت الآلة الثقافية المنتجة لخطاب التشهير، وتفكيك أدوات الخطاب الصانع لمنظومة الاعتراض ، و هذا يهدف إلى قطع الطريق أمام كل من أراد أن يتخذ من إشكالية الغموض النقدي ذريعة لإنشاء خطاب مضاد بغرض التشهير ولفت الأضواء .

– إن التضافر المعرفي بين النقد و سائر العلوم حسب المسدّي هو ضرورة حتمية تفرضها متطلبات العصر خصوصا بعد انفتاح النص الأدبي على سائر مشارب المعرفة .

– إن قضية المنهج هي القضية الأولى في جميع الحقول المعرفية و بذلك احتل المنهج أهمية كبيرة بعد

انفجار النظرية النقدية، وبذلك فإن التجديد المنهجي و خاصة ما كان نتيجة التلاقح الحاصل بين اللسانيات والنقد الأدبي يفتح أفق المعارف .

– إن رؤية عبد السلام المسدّي للتضافر النقدي اللساني قائمة على رسم حدود منطلقات واصول تكونية تم تحديد نتاجه بالاستعانة بنظام التقليب الرياضي لحشد مختلف الاحتمالات المتعلقة بثمار تضافر النقد باللسانيات .

– رسم عبد السلام المسدّي معالم جديدة لهذا التضافر المعرفي مؤكدا أن علاقة المعرفة النقدية بالمعرفة اللغوية لابد لها من تحويل المسار التضافري وفق منظومة الأنساق و المناول ، وقسم هذا المسار إلى ثلاثة مراحل : المرحلة الأولى الإطار المرجعي، ثم مرحلة الإخصاب المعرفي، ثم مرحلة الإنضاج الإيبستيمي، وكانت المرحلة الأولى متقيدة بلحظة الدال، والمرحلة الثانية متقيدة بلحظة المدلول، والمرحلة الثالثة متقيدة بلحظة الدلالة .

– في الأخير يدعو عبد السلام المسدّي إلى الاهتمام بحيثيات نشأة النص النقدي، مما يفرض على المتلقي الحفر في السياقات الثقافية، و الخلفيات المعرفية المحيطة بنشأة النص النقدي ، و ذلك من خلال إعادة الاعتبار للسيرة العلمية للناقد لما في ذلك من كشف للمستور وتنقية لمسار العلم من الشوائب .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أولا : المصادر و المراجع .

1. إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة رغاية ، دط ، 2007 .
2. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث و الأثر ، تح : طاهر أحمد الزاوي و محمود الطنحاحي ، ج1، نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ، د ط ، د ت .
3. أحمد مطلوب : المصطلح النقدي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، دط ، 2002 .
4. جمال شحيد ، وليد قصاب : خطاب الحداثة في الأدب (الأصول و المرجعية) دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2005 .
5. الزاوي بغورة : مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د ط 2000.
6. سعد البازغي : إستقبال الآخر (الغرب في النقد العربي الحديث) ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ط1 ، 2004 .
7. سمير سعيد حجازي : مناهج النقد الأدب المعاصر بين النظرية و التطبيق ،دار الآفاق العربية القاهرة ، ط1 ، 2007 .
8. الشريف الجرجاني : التعريفات ، تح : إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4 ، د ط .
9. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي الجاهلي ، دار المعرف ، مصر ، ط24 ، 2003 .
10. صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط2 ،1985.
11. عبد الرحمان بن خلدون : مقدمة بن خلدون ، دار القلم ، بيروت، ط4 ، 1984 .
12. عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ط1 ،2004

-ا لأسلوبية و الأسلوب ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ليبيا ، ط5 ، 2006 .

-التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا / تونس ط1 ، 1981 .

-المصطلح النقدي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع ، تونس ، د ط ، 2001 .

-النقد و الحداثة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983

-في آليات النقد الأدبي ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، د ط ، 1994 .

18-عبد العزيز حمودة :المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، دط ، 1997 .

- المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، دط 2001 .

20-عبد الغني بارة : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط1 ، 2005 .

21-عبد الله إبراهيم : المطابقة و الاختلاف ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، لبنان ، ط1 ، 2004 .

22-عبد الله الغذامي : تشريح النص (مقاربة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2006 .

23-عبد المجيد زراقطة : الحداثة في النقد الأدبي المعاصر ، دار الحرف العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1991 .

24- عبد الهادي بن ضافر الشهري : استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ط1 ، 2000 .

25-عمر عيلان : النقد العربي الجديد مقاربة بين نقد النقد ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2010 .

26-فاضل ثامر : اللغة الثانية في إشكالية المنهج و النظرية و المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ، الجزائر ، دط ، 1994 .

27 - مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 2004

28-محمد خضر : النقد الأدبي عند العرب الخطوات الأولى ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، مصر ، ط2 ، 2007 .

29-محمد طبي : وضع المصطلحات ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، دط ، 1992 .

30-محمد عابد الجابري : التراث و الحداثة (دراسات و مناقشات) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1991 .

31-محمد عزام : النص الغائب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د ط ، 2001 .

32- محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط3 ، 1992 .

33-ابن منظور: لسان العرب ، دارصادر، بيروت ، ج1، ط1 ، 1997.

34-يمنى العيد في القول الشعري ، الشعرية و المرجعية الحداثة و الإقناع ، دار توبقال ، الدار ، د ط 1987 .

35-يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، منشورات الاختلاف الجزائر ، ط1 ، 2008 .

ثانيا :الكتب المترجمة :

36-تزفتان تودوروف و آخرون : في أصول الخطاب النقدي الحديث ، تر: أحمد المدني ، الدار البيضاء ، دط ، 1987 .

37-فريدي ند دسوسور: دروس في الألسنية العامة ، تر: صالح القرمادي و أخرون ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، دط ، 1985 .

38-مجموعة من الأساتذة : الأدب و الأنواع الأدبية ، تر: طاهر حجار ، دار طلاس للدراسات و الترجمة ، دمشق ، ط1 ، 1985 .

39-ميشال فوكو : نظام الخطاب و إرادة المعرفة ، تر: أحمد السطاني و عبد السلامبن عبد العالي دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، دط ، 1985 .

ثالثا : الدوريات و المجلات .

40-إدريس بن فرحات : المرجعية المحددة للأراء النقدية في القضايا المتعلقة بالنقد عند عبد السلام المسدي في كتابه الأدب و النقد ، مجلة مقاليد ، ع6 ، 2014 .

41-حسين بوحسون : الأسلوبية و النص الأدبي ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، ع378 ، 2002 .

42-خالدة السعيد : الملامح الفكرية للحداثة ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ع68 . 2006

43-خير الدين دعيش : أفق التوقع عند ياوس ما بين الجمالية و التاريخ ، مجلة قراءات ،جامعة بسكرة ، ع1 ، 2009 .

44-عباس المناصرة : مدخل عام لمسيرة الأدب الاسلامي ، مجلة الأدب الاسلامي ، ع 52 ، 2006

45-عبد الحليم بن عيسى : الاتصال اللغوي بين الدقة و الغموض ، مجلة اللغة و الاتصال ، جامعة وهران ، ع1 ، أكتوبر ، 2005 .

46-عبد السلام المسدي : مساءلات فكرية ، الخطاب النقدي و حيثيات الكتابة ، صحيفة الرياض ع12914 ، 2003.

47-محمد بلقاسم : المصطلح النقدي الاشكالية و التطبيق ، مجلة النص و الناص ، منشورات جامعة جيجل ، ع4 ، أفريل ، 2005 .

رابعا :مواقع الأنترنات :

48-althnainya , com ,files/ files/156 ,pdf 2015-3-1 . تصفح بتاريخ

فهرس المحتويات

الفهرس

شكر وعرفان

مقدمة أ–ج

الفصل التمهيدي: عبد السلام المسدّي ومدونة "الأدب وخطاب النقد

أولا:عبدالسلام المسدّي وإسهاماته النقدية 5

1–تقديم الناقد عبد السلام المسدّي 5

2–إسهاماته النقدية 6

ثانيا مدونة الأدب وخطاب النقد 8

1–بنية عنوان المدونة 8

أ–مصطلح الأدب 8

ب–مصطلح خطاب 10

2–ملخص المدونة 13

ثالثا: المرجعية النقدية في كتاب الأدب وخطاب النقد 25

1–المرجعية اللسانية 26

2–المرجعية الحداثية 27

الفصل الأول :إشكاليات النقد العربي المعاصر

أولا: إشكالية الحداثة 31

1–مفهوم الحداثة 31

2– ثنائية الحداثة و التراث 32

3– بين حداثة النقد وحداثة الإبداع 34

ثانيا: إشكالية المصطلح 36

1– مفهوم المصطلح 36

2–مرجعيات إشكالية المصطلح 38

3–الحد من إشكالية المصطلح 40

ثالثا: إشكالية الغموض النقدي 44
1- مفهوم إشكالية الغموض النقدي ومرجعياتها 44
2- الخطاب المضاد وخصائصه 46
3- الحد من إشكالية الغموض 50

الفصل الثاني : استراتيجيات الخطاب النقدي

أولا: النقد و التضافر المعرفي 54
1- مفهوم التضافر المعرفي 54
2- النقد و التضافر المنهجي 57
3- التضافر النقدي اللساني 58
ثانيا: حركية الأنموذج التضافري النقدي اللساني 60
1-الإطار المرجعي 60
2- الإخصاب المعرفي 63
3- الإنجاب الإيبستيمي 65
ثالثا: الخطاب النقدي وحيثيات كتابته 69
1- مبحث نشوئية النص النقدي 69
2- حيثيات كتابة النص النقدي 70
خاتمة 75
قائمة المصادر 78
فهرس الموضوعات 84

ملخص:

يتناول موضوع الدراسة البحث عن القضايا النقدية في كتاب "الأدب وخطاب النقد "لعبد السلام المسدّي.

يسعى هذا البحث إلى تحليل مختلف الأفكار و المواقف التي يعرضها عبد السلام المسدّي في كتابه "الأدب و خطاب النقد" ، ذلك ما يسمح بمقاربة مدونة هذا الناقد في إطار شمولي نتتبع أولا مواقفه إزاء إشكاليات النقد ، ثم يعرج إلى أهم البدائل التي يقترحها في مشروعه، و يراها كفيلة بالنهوض بمستوى النقد العربي، وتصبو الدراسة بذلك إلى مساءلة المقولات و الأفكار التي يتبناها الناقد في خطابه مع تحليلها و معرفة مدى فاعليتها في تقويم مسار الخطاب النقدي العربي.

Résumé :

Ce travail se propose d'étudier les questions critiques dans le livre la littérature et le discours critique d'Abdel Salam AL Massadai.

Cette étude vise à analyser les diverses idées et attitude présentées par Abdel Salam AL messadai dans son livre la littérature et le discours critique dualité que permet d'approche le discours de cette critique dans un cadre globale aussi nous étudierons d'une partie les idées Abdel Salam AL messdai sur les problématiques de la critique littéraire et d'autre partie nous analyserons les alternatives proposées dans son projet et qu'il pense pouvoir améliorer le niveau de la critique arabe.

الحمد لله